

للقسمة يقدم على جلب المساعدة، وقيل القصر الخاص بالمنع القصر العام وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما أدى إلى الإضرار فهو حرام، وما لرب الشيء يعطى حكمه... إلخ.

وهناك بعد ذلك ما يسمى بالمصلح المرسل، وهو نفع نفهى غايته حساية النفس والمال والعرض والمغل والمدين..

والواقع أن القسمة في الكتاب والسنة، التي يبحث في جوهرها بقدر على استنباط مبادئ تنطلق الحريات منها، وترسم مسار تشريعي، تضمن الوفاء والتأخير للناس كافة، كما يستلزم أن يواجه القضايا المعقدة بأحكام إسلامية سليمة..

ولموقعه الإسلامي الذي يرتبط مع مصالح القرن الخامس عشر الهجرية بعد أنفى قفة من العلم، والمبادئ التي يتحرك فوقه لا تفلح في دينا الناس.

فإن القضية الكبيرة الشيخ محمود شلتوت: والمستغل أصحاب رسول الله بعد موته حياة أوسع، إذ عرضت لهم شئون احتاجوا إلى معرف الحكامها، وكانوا يرجعون إلى القرآن، وإن لم يجدوا فيه ما يدل على حكمها يحدوا عنه فيما يحفظه المردول لثقتهم من بيان الرسول واجتهادهم. فإن لم يجدوا الحكم نظروا وحشوا مسلمتهم روح الشريعة، وما عرّفوه من هدفها، وما ترشد إليه قواعد العامة التي أصبحت لها مكانة قصوى لحيته.

وكان الشأن العام في عهد أبي بكر وعمر التحري الشديد فيما يورث عن النبي ﷺ، والتوسع في الشؤون العامة إلى استشارة كبار الصحابة القديمين معها في دار الخلافة والشرعية، وبقوة الرأي، ومضى الشطر، في أدراك المصلح، وحسن التهم لروح الشريعة، وجودة التطبيق على القواعد العامة.

وكانوا إذا أحصوا على رأي وجب تنفيذه.. وبذلك كان أحد لراي طريق الشورى معلوما جديدا ظهر العمل به بعد وفاة الرسول فيما لا يصى فيه من كتاب أو سنة، أو فيما فيه نص محتمل.

وتوجه حمية لراي في التشريع إلى أمور:

أولاً: تعزيز القرآن مبدأ الشورى (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (١).

(١) الشورى: ٣٨.

٤٧، ما الاجتهاد؟ وهل هناك ضرورة لفتح بابيه؟ ولماذا؟

يعلم المسلمون أن دينهم باق ما بقيت السموات والأرض، وأن به تبيان كل شيء يحتاج الناس إلى أن كتاب الله وسنة رسوله هما قور للبدل لكل ظلمة، الكاشف لكل حيرة، وهما الدواء الناقض من كل علة ولقد لكل علة..

والاجتهاد هو بذل الجهد في استخراج الحكم الشرعي من هذه الأصول، وفي ضبط مسيرة المجتمع بها، وهو عمل لا يقتر عليه ببداهة كل إنسان، بل لابد من أهلية علمية عالية له.

فالقرآن الكريم هو خلاصة الوحي الإلهي من أن لدينا إلى إلهام، صريح في أسلوب يعجز الإتي والجن، والسنة للظهور هي توجيهات إنسان ملهم مستلج لحيوات الأولى كلها بين جنبيه، وشريع يصوغ العلم كل باسم الله في قالب جديد، وقد أدرك أبو الألب أن التغيير الذي أحدثه برهانه الحاققة كان حاسما في سير الفكر والفهم، وإن فتح صفحة جديدة في تاريخ الحياة الإنسانية..

ومن ثم فإن قفة الكتاب والسنة لا يرضح له إلا أهل اليقظة والتفوق واليقظة والإحسان يرون أن مصدر التشريع - كما يقول الشيخ الكبير محمود شلتوت - هو القرآن الكريم نفسه ومحمته، ثم السنة وهي أقوال الرسول وأفعاله وتفسيره، ثم شرط صحة النقل، ثم لراي العلمي المستمد من المنطق في الكتاب والسنة، وأما ما لم يرضح على حكمه بما جاء فيه نص..

ومضى بذلك الجاس، ثم في تطبيق القواعد العامة للظهور من التصور والتفكير العامة.

وفيه القواعد مثل الأصل في الأشياء الإباحة، ومنع الضرر وروح الخرج، ومنع ذلغ الفساد والضرورات تبيح المحظورات، وأركان أئف الضررين، ودفع

ناتياً : أسر للقرآن الكريم يرد المتنازع فيه إلى أولس الأمر وهم الذين أوتوا الفهم
والحكمة وطرق الاستنباط فلو رُدُّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه
الذين يستطيعونهم (١).

ثالثاً : ثبوت إقرار النبي ﷺ لأصحابه الذين كان يعيهم إلى الأقاليم الثانية
على الاجتهاد والأخذ بالرأي فيما لم يجدوا حكمه في الكتاب أو السنة .
وظاهر من مطالعة تاريخنا الفقهي أن الاجتهاد الشرعي بدأ رسمياً جماعياً ،
فلك أن رئيس الدولة كان يختار من أهل الديار والقفه ، وكان قدرته العلمية
يجمع حوله أمثاله في النظر والاستنباط ، فمما انتهوا إلى حكم عملت به الدولة
والأمة جميعاً ..

والمرور بطي الأن تقوم على هذا الاجتهاد الجماعي في دعم مبادئها
ومصالحها ، ويطلب أن يقودها أكفأ بنينها ، وأن يعاونه في المشكلات المتجددة
مجلس شوري دكتي زبته خالط بشي الكتابات .

مع ملاحظة أن الاجتهاد عندنا رحب الدائرة ، يشمل العبادات والمعاملات
والشؤون الشخصية والدولية ، وقد رأينا عصر يجتهد في تحديد نفقة المطلق ثلاثاً
وسكناها ، كما يجتهد في أصبة الجاهدين من غنائم الأرض الفخوة !

وحدث لو بقي الاجتهاد رسمياً جماعياً كما بدأ منذ لوقى المسلمين احتلالاً
كثيراً ، لكن سيطرة الأسر الكبيرة على منصب الخلافة مكن رجلاً جهلاً من الظفر
به ، والروضاء القاصرون ، لا فقه لهم في كتاب أو سنة ، ولا علاقة لهم بشورى
أو استنباط ...

ولانه لم يخزن أن يتقود العيازة شتى الملل والنحل ، وأن يتقود الهاليز أمة الرسالة
الحاجات

وليست الأمة عقيمة ، بل إن أهل الذكر فيها كثر ، وقد تحركت الشعوب لما
وقفت الحكومات ، وبدأ الاجتهاد الفقهي يزدهر ، ورجاله يملعون ، ولكنه كان
نشاط أفراد عظماء أسوأ مدارسهم العلمية يتقو ويجمع الأتباع حولهم بحماس .

(١) الفقه : ٨٢ .

ومع أن الأئمة الفقهاء كانت بينهم وبين رجال السلطة وخشة ، وأكثرهم
مسه الضر ، إلا أنهم نجحوا في نشر علومهم وتبئية مدارسهم ، حتى ملأت أرجاء
العالم الإسلامي .

ولم تخل عاصمة إسلامية قديماً من فقيه كبير ، وإمام مرموق ، على أن الفقهاء
الأربعة المتبرعين كانوا أسعد حظاً فترقوا من حفظ اجتهادهم وضبط تراثهم ،
واستغفله من القضاة ، وقدم أولئك الأربعة على عظمتهم يمثل الاجتهاد الفروي ،
ويحتمل خصائصه ، وما يفتي قط عن الاجتهاد الجامعي الذي تنظم الحكومة
والجامهير بشمارها

ولا ريب أن اجتهاد معقل من العلماء أدنى إلى الصواب والتفهم من اجتهاد إمام فرد .
والأربعة المشهورون يتفقون على استقاء الأحكام من الكتاب والسنة والإجماع ،
إلا أن الأحاف يرجحون ظواهر القرآن وعصوماته على أخبار الأحاد ، وربما دوا
الحديث بقياس الجلي ، وهم بهذا المسلك وغيره طليعة فقهاء الرأي !

وتلهم للملكيون الذين اعتمدوا في كثير من القضايا على بيعة الوصي ، وتقاليد
أهل المدينة ، وروثهم أعرف الناس بالسنة لأشائبة ، وقد جعلهم هذا الفهم يردون
أخبار أحاد أكثر مما رد الأحناف !

لما الحجابة ومعهم شافعية ، فارتباطهم بأخبار الأحاد أقوى ، وهم يردون بها القياس ...
وكل إمام منهج في الفهم والاستنباط وتقرير الأحكام عرف به ، وقوله
فيه آخرون .

ويظهر أن انتفاع باب الاجتهاد الفروي أغرى كثيرين باستئصال النظر وتقرير
الأحكام حتى تحولت الحرية الفقهية إلى فوضى ، فنداهي أولو الغيرة توقف هذا
النار ، ودون أن يتفقد مجمع أو يتفق مؤثر تراجم الناس رويداً رويداً إلى فقه الأربعة
المشهورين وأهل غيرهم .

وقد كنت أرا الأمر ناقشاً على إغلاق باب الاجتهاد ، ولكن لا انكسر الباب
وتحدث في الإسلام من يعقل ومن لا يعقل ، بل كان صوت المرتزقة أعلى من
صوت المخلصين ، علزت الذين أغلقوا الباب ، وأطفئوا الفتن .

٤٨. لماذا نحن تجديد الفكر الديني في الإسلام؟

جرت على الألسنة كلمة تجديد الإسلام ، ونحن اليمضي أن المقصود منها ترويق ثوب لغة الجلي أو تحريك آلة أركيها المطلبيا وقد يتطلب ذلك إعمال شعبة من شعب الإيمان ، أو التجرد عن حد من حدود الله ، أو إزاحا عن المسمى شعورا بالخاسر ، ونشأ مع الدين الجديدة .^١

ومما كله لا يتقبل به مسلم ، ولا يفكر في الاضيق بدنيا لا يدري عنه شيئا .^٢ إن التجديد للشود حجاب الأصل ما وراءه وتطيقه ما شابه وعكس ريقه ، إنه غسل العرب حتى يزول عنه لقلبي ، أو إزالة الخبار عن صورة غطى الإهمال ملاصحا . . .

قلت في أول كتاب الله من نحو أربعين عامًا و . . . إن حقائق الدين من مناهيه الغريبة ما إن أخذت تفسر في مجراها من هذه الحياة حتى علق بها من راسب البيات ، ومخاضات القرون ، وجهالات العامة ، وشبهات الخاصة ، وبزوات الحكام ما فكب بالكثير من آثارها ومخاضها ، حتى لتشبه ماء النيل في جواره الأدنى ، لا يصلح للشرب إلا بعد مجهودات مماعة من التفتق والتقصية ترويه ساريا كما كانا!

هل إمداد الناس بمياه النظيفة يضيف شيئا إلى جوهرها الأصلي ؟ لا ، الأم لكه أن يعود الله ، كما نزل من السماء ، وأمنا في تجديد الإسلام قريب من عملائنا في تنمية مياه الشرب . . .

وقد في رسول الله ﷺ إلى جلال هذا العمل عندما قال : يجعل هذا العلم من كل ظلم عدو ، ويعتق عنه نصيب العاقين ، واتصال المظلمين ، وقادير المظلمين!!^٣

والكلمات الثلاث فيها من إحصاء النبوة الحميدة ما يثير ويسحر قديما وأينا عبادا غلاة يكرهون الحياة ، ويشعرون عدم الزواج ، وصيام الأبد ، وقيام الليل ونحوه الختم ، ثم رأينا كيف تعلموا الاعتدال ، وترك القنور . . .

وقديا رأينا من يضع الحديث في فضائل السر فإذا قيل له : كيف تقصم فلانا والرسول يقول : «من كذب على مصعقا فليقتوا مصعده من النار» فيقول : كذبت له ولم أكذب عليه !!

يعني تلك ألى لا أريد فتح هذا الباب كله كلاه
إن الاجتهاد التشريعي ، خصوصيا فيما يخص المسائل الداخلية والخارجية ضرورية دينية واجتماعية^١

واللى أعود إليه أن تقدم مجامع كبيرة ، من علماء وأسماء ، لا يخافون في الله لومة لائم ، يبينون الاجتهاد الخاصى القديم ، ويقيمون يسمين مهين . . .
الأرك : إيمان أو إحياء لقله الامولى لتجديد أوضاعنا الدينية ، وإعادة النظر فى أنظمة الحكم الداخلية لإزالة التسلل من مسارات الحكم الفردى ، ومظام المسلمين ، وإنشاء شراخ إدارة تفسيط شئون العممال وتوزيع الاموال ، ووضوح المظروق الخاصة والعامة . . .

إننا مختلفون بقضية قرون في هذا المجال ، ولا يجوز ترك الإسلام بغيره هذا المثل الأدنى^٢

أما العمل الثاني : فهو مراجعة المذاهب القومية السائدة ، وفريضة أحكامها ، فمن الغرور القول بأن مذاهبا ما انفرد بالصوراب كله ، ومذاهبا آخر يفتل عليه لتخطيط . . .
إن المذاهب المشهورة وغيرها تخجوى على ثرات نفس من الأفكار وجهود على وتلقى قد يقصر أغلبنا عن بلوغ مستواه ، بيد أن القول المشهور شىء والتحقق المسمى شىء آخر . . .

وقد شئت من مكان آخر إلى أن ابن تيمية رد فقه الأرملة فى إضمار الملاذلى البدعى ، وألقى معه عند التامل ، وإن ابن حزم مدلى إلى أحكام فقهية أولى بالجابة من غيرها . . .

لأزعمو مجمع فقهي إسلامى عالى ، يجتهد فيما جد من قضايا ، ونشأ عاينا من روية وضعف أمر لابد منه . . .

٤٩. ما مكانة الفقه الإسلامي في الإسلام كله...؟

عندما أراد النبي ﷺ أن يدعو لابن عمه عبد الله بن عباس دعوة ترفع شأنه وتعلمي رتبته قال: «لهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

وثبت أن الله إذا حبا أحبا فضلا ، وأتاه من لدهن خيراً رزقه «من يرد الله به خيراً كيف يشاء» في الدين» .

وكلمة الفقه في ثقافتنا التقليدية تشبه كلمة الفكر في عصرنا الحاضر ، فإذا وصف أحد الناس بأنه مفكر فمعنى ذلك أنه في ذكائه حدة ، وفي بحثه عمقا ، وفي نظره بعثا .

وقد تميز الفقهاء في تاريخنا العلمي بأنهم الأعراف بأسرار الدين ، ووجوده المحكمة ، وعقل الحكم ، وأهداف الشريعة ، ومن ثم كلفت الجماهير إليهم بالزمام ووسلت وراهم في أغلب شئوننا ..

ويوجد ناس صالحون قليلو الفقه ، لمعلم المعتزين يقول القائل : من أصحابي من أرجو دعونه وأرض شهادته .. ولواقع أن هناك متدينين لا تغفل فتاواهم ولا أحكامهم ، كبحض الخراج ، وبعض الصوفية ، وبعض المعتزليين ، فأنهم مع فقاء سرائرهم لم يبرزوا المحكمة ، والوعى ، ولم يحسنوا العمل بما يملكون ؛ لأنهم خربوا الفقه !!

والحاجة إلى الفقهاء ماسة ؛ لأن الفقه الإسلامي تناول شئون الحياة كلها ، فهو مع الرء في يظفقه وفي فرائده ، في خلوته وطرته ، في سفره وإقامته ، في أدق شئون جسده ، وفي علاقته بال دولة ، بل في علاقته بشئ اللل والأجناس ...

واستيعاب الفقه لنواحي الحياة الخاصة والعامة على هذا النحو يجعله المشوول الأول عن حاضر الأمة ومستقبلها ، ويجعل الفقهاء القادة الحقيقيين للجماهير ..

ومعلوم أن الفقه يستمد أحكامه من الكتاب العزيز ، ثم من أئوف السنن التي نقلت عن صاحب الرسالة خلال ربع قرن ، ثم من القيلس والاستصلاح والاستصحاء والقواعد المستفادة من أصول الإسلام الأولى !

لقد علموا أنهم لو خرجوا إلى الشوارع لتعرضوا للموتى فإن الحكومات القائمة لا تريد تخرجهم على الخروج ، أنهم لو خرجوا اليوم ضد اليهود فسيخرجون عددا ضدها ، فلتغلق أبواب ابتداء ..

أرايت ما انتهى إليه الحكم القردى ، وضياح الشرورى الصريحة؟

ونظرا إلى حركة لئال لعلم والخاص في دكر الإسلام وبصيكتا عن دار الإسلام إلى استعلان الفتنوا لكسب درهم من طريق قريب يقتل صاحب أنبيأ في أقطار الأرض كلها ، أما الدنيا وحلتنا فإن استلاك القناطير المنظر من الذهب والفضة ، والساحات المشمسة من أراضى أفراقة وإنباء يتم بلا صيط وحساب ، وتسمه اعتلار الأغنياء من هذا القليل !!

هل لهذا العوج الرهب حلة بالإسلام؟ إن ديننا أول من أعلن الحرب عليه فماذا صنعتم لقتال هذا البلايا؟

هناك من خوف بالله وذكر الدار الآخرة في وعظ يبلغ لو غير يبلغ ..

وهناك من سكت وأثر السلما هناك من تحدث عن بدع الساجد ، وسخط لربابة النساء للمقاربا هناك من تحدث عن أن الخلف بغير الله شرك ، ونسى أن الرباء شركا ومالاة الظلمة تكبرا هناك وهناك ...

فلماذا عمدنا إلى أصل الداء واستغفنا من أدوية اصطفها غيرا لانتفاء مضاعفاته اعترضتم طريقنا ، وأنهمم سيرتنا ...؟

الحق أن موكب التحديث في الإسلام ملئ ، بالهائزين ، وبولاء يمتون الإسلام ولا يجلدون ..

ثم سل نفسك أيها الأخ المعتز : لو كان السلف الأولون يعمدون في غذائهم وكسائهم ودوائهم على أن يرد إليهم من الفرس والروم أكان ينجح لهم جهاد؟ أو يقدرون على تحريو مستصف وحماية حقيقة؟

إنهم سيمسبون في أماسكهم هزلا !! فلماذا شرعنا نتحدث عن الموات اللاتى والقياس الإنسانى لائتنا ، وبدلنا تحريكنا لنتقدم نقفهم ورسالتها ، جاء صوفى أو سلفى ليطن في كذا حنا .

إن تجديد الفكر الدينى يتطلب عقلا أنضج ، وقبلا أركى يتطلب بصرا بأخطاء التاريخ ومزلقا الأجيال ، يتطلب علماء بالكتاب لا مجرد فراء ، وخيرا بالسة لا مجرد رواة ، وفهاما في الشرع لا مجرد معتلدين ، وبصرا بالثرية والتشفيق لا عبيد تقاليد سائلة ، وأصحاب دراسات عتفة .

ويحدد أبو حنيفة في تقريره الفصائل على التلخيص بأن الإسلام أمرنا بترك أهل الكتاب وما بينهم ، وقد روي أن عمر بن الخطاب سأل عدله : ماذا تصنعون يا عمر به أهل الذمة من الخمر والمار ؟ فبشرهم فقال : لا تعلموا ، ولزومهم فيها ، وغضوا الخمر من أمتهم ! قال أبو حنيفة : دلوا أنها مقبوضة - أي لها قيمة - وإن فيها جائز بينهم لا أكرم بذلك ومن العلوم أن التقدم أهل الضمان والمسئولية ، أما إمداد تورمها فإنها هو بالنسبة إلى المسلمين وحدهم .

ومن مسائل الخلاف كذلك أن أبا حنيفة يرى الاختصاص من السلم إذا قتل كافرا من أهل الذمة ، ويحكم بقتله ، ويخالف في ذلك الفقهاء الآخرين وكلام الأحناف هو الذي يحكي إضفاء في عصرنا ، وتستطيع الدولة الإسلامية به أن تتماشى مع خلاف الأسرة الدولية ، وتستطيع مع خلاف هذه المعايير أن تبلغ رسالتها وتعرف شعوب الأرض بما عدها

وكل ما يطلبه الأمر إذا اختارت الحكومة مذهب الأحناف أن يقتل الشاذلية والخائبة الموقف بغير اعتراض ، ولا يفكر بقتلهم في اللجوء إلى عصيان مسلح ! إن صديق الحق والأقرب يحذر على المسلمين الجلاء ، وما كان الفقهاء قدما يرون الخلاف سارا فنته ، بل وجدنا الشاذلي يقول : فالتاس في اللغة حيال على أيسر حنيفة مع رقبته لكثير من أرائه !

كنت أسمع برامجا فيها في إحدى الإذاعات العربية ، فعجبت لإجابات الناس على الأسئلة التي توجه إليه ، وقلت : هذا كلام أقرب إلى الهدم منه إلى البناء سئل : عدا عنه - ممن أخرج زكاة رمضان فقال : فقال : لا تقل ، إلا أن يكون شمرا أو يرا أو شيئا من غلبت قوت الدنيا ثم استطرد بصف إخراجها فقال بأنه مخالف للذمة ، وإن زكاة الله ﷻ يقول : ممن أهدت في أمرها فمالي من ماله ظهور

وبما أن خلاف حديث النبي أن إعطاء الفقير مالا - وباللات أو حنيفة - بدعة وأن خلاف هذا المسلك أصحاح بدعة ! وقد رقت كلام الرجل جملة وتفصيلا ، فإن صلحته فقراءه هي التي ترضى ، وأخذ المال لأجدي عليهم وأطيب لأنفسهم ، وجمهورية المسلمين يخرج زكاة رمضان فقال نبيا للمذهب أبا حنيفة ، وهو أقرب إلى العقل ولا يصادم عقلا

والغيره بهذا البحر الملاطم من المعارف تحتاج إلى جفيرة ذقة ثم ينضم إلى تلك ما روي للسلطنة - بإجماع - أن العلم الظنري وحده لا يكفي في إعطاء قيمة أخيرة لإنسان إلا أنه مضمع من تجرد الله ، وصحابة في الحلق ، وإزاحة في السواد واستعلاء على أفراد الحكم والبال ! إن لفتة ولفظها أسن شامخة في حضراتنا ، ولا يشتر البحر أحيانا أن يحفل بوجه بعض العلماء !

والمسلمون الآن يعانون منازم فقهية وسياسية ليمتد مع تسلط الغزو الفكري على أنظارهم حسب البصيص أن الدين صلا خاتمة باله ، وأن الصلوات الإسلامية بعد تلك موكب إلى الفكر الإسلامي المعادي ، وبذلك يستغل الفقه من مكانته ، ويحرم الناس وفق ما يضيئون من قوانين !

وبما الكلام جهالة فاضحة بالإسلام ، بل هو ارتداد حقيقي عنه ، فإن القرآن الكريم كما تحدث عن العقائد والأخلاق تحدث عن المبادئ الاجتماعية والدينية ، ورسم للأمة ، وللأمة جميعا ما شاء الله من شرائع وتوجيهات ، وسيرة محمد ﷺ لم تكن سيرة رجل بعينه ، كما يشرّف في صومعة ، بل كانت سيرة عابدة محاطة بشرف على استقامة الأخلاق ، كما يشرّف في لوقت نفسه على توزيع المال في المجتمع ، والإرسال بدفة الحكم ، وشنون الحرب والسلام ، أي أن صومعته كانت الدنيا كلها

ووضع الفقه الإسلامي بعد العقائد والأخلاق يتناول أعمال المكلفين دون اعتداله ، وببنت فيها وفق توجيهات الكتاب والسنة ، وما يستند عليها من دلائل لا أحب هذه الدائرة وأغناها

وأي أن اختلاف وجهات النظر بين الفقهاء يعطي المسألة والفتنة وربما كبيرة للتصرف في نطاق الشريعة على مدى من مبادئها ، وبخلاف مثلا ما يقع في عصرنا هذا الذي تقاربت فيه الأريته والأمكنة والشعوب والأل

يقول الشيخ محمود شلتوت : فمن مسائل الخلاف أن أبا حنيفة يرى مسؤولية المسلم - وغيره - إذا ألق مالا للناس ، إذا كان هذا المال ما يرموه الإسلام كالمسلم والخير ، ولو كان المسلم فاسدا يبالغ وجه الله وشراب الأخرى

وخلافه الشاذلي في ذلك ، وقال لا مستحبة ولا غيرية عليه ، إذا ألق ما حرمه الشارع !

وسئل - هو أو زميل له - من طلبه إحدى المدارس عن الكتب التي بين أيديهم ، وما تحتويه في صور كثير؟ فأجاب بعدما شككنا عموم الجبزي بأن دوس هذه الصور قطعاً وبذلك يحمل تداول هذه الكتب !

ومالنا قطع تلك الرسوم؟ لأن المصور يكلف يوم القيامة بفتح الحياة في هذه الصور ، إذا كانت ثلثة !

وسألمت دعنا : كيف تحيا صور على الورق ، أو على شاشة تلفاز ، أو على سطح مرآة ، سواء بقي الجسم يرأسه أو بقي بلا رأس ؟

ظاهر أن النفس يريد نقل حكم التماثيل إلى الرسوم المطبوعة ، وهو نقل مفروض .. والأجبال تشب بهذه العظيمة تنفذ الحس الاجتماعي السليم .

ونعود إلى فقهاء الإسلام الذي يتبع طولا وعرضا ليشمل كل شيء ، إنه يحتل في شؤون العباد من صلاة وصوم وزكاة ورجوع ، ويحتل في شؤون الأسرة من زواج وطلاق وحضانة وميراث ، ويحتل في الشؤون التجارية من بيع ولجار وشركات وكفالات وسجلات .. إلخ ، ويحتل في الجميع والجنات المتعاقبة بالعرض والدم واللال ، ويشرح أنواع الحلود والقصاص ، ويحتل في الشؤون الدولية وما قد يقع من حرب ، أو عقد من صلح أو هدنة أو إمان .. إلخ .

وهناك ميدان نادر الكلام فيه أو اندم وهو الفقه السياسي الضابط لمعاملات الأمة بحاكمها ، وكيف يحاسب ويختار .. وميدان آخر لشؤون العمل والعمال ، يؤسفي أن أكثر قوانينه ينقل الآن من الخارج لمجرد تفهنا عن طلبية مطالبه !

والذي اقترحه خدمة الفقه الإسلامي أن تطوى مسدة الخلاف بين رجاله ، وأن يتعاونوا على سد الفجرات واستنقاذ ما فلت ، ويواجهوا بصيرة نيرة قضايا اليوم والعد ، وأخيرا هناك موضوع جديد بالدراسة الجادة ، موضوع تقنين الفقه الإسلامي

وصب أحكامه في مواد محدودة ، يتصرف القاضي على ضوئها ، وفق مطالبها .. إن ذلك أبعد عن الحجازيات وأقرب إلى العدالة ، وميزانا نذكر أن فروع الإنشاء والقاضي قدنيا هي التي انتهت بإغلاق باب الاجتهاد . وتحديد الفقه كله ، وما تبع ذلك من ركود وتراجع ..

١٥٠. لماذا يجب أن يكون الفقه الإسلامي

المصدر الأساسي للتشريع ؟

وطبيعة القانون في أي مجتمع أن يحرس عقائده وقيمه ، وأن يحسن أفرادها ، ويصون حقوقهم المدنية والأدبية وفق ما استقر بينهم من مبادئ ومثل ! ..

وبنهي أن تخلف القوانين باختلاف المجتمعات التي تسودها ففي العالم مجتمعات وثنية وملحدة ومجتمعات تنتمي إلى اليهودية أو إلى النصرانية ..

وطبيعة القانون في بلد يرى خرافة غير وطنيته في بلد يحترم الدين على نحو ما ..

وفي الأقطار التي بقيت للأديان فيها قيمة اسمية قد يمتح الدين قادرا من الحركة بقدر استكانته إلى الأنظمة الغالبة وهويته من مواجعتها ، فإذا ظهرت عليه أعراض المقاومة ، لاحقه النظر التزير ليسكن أو .. ليذهب حقه في الحياة ..

وخلال القرنين الأخيرين سقطت مساحات هائلة من العالم الإسلامي في أيدي أعداء الإسلام ، فاستولى الاستعمار الشيوعي على أقطار ورجية في آسيا وأوروبا والبريضا ، كما استولى الاستعمار الغربي على أقطار أكبر وأخطر .

وشرع كلا الاستعمارين يفرض قوانينه على الأراضي التي احتلها ، ويعمل ببلاب وإصرار على سلخ الأمة من عقائدها وشرائعها وقسرها على قبول نظم أخرى لا تمت بصلة ما إلى كيانها الروحي والعقلي ..

كان المسلمون كجسد اتزعزع قلبه ثم جرى له يظلم نور أو ذنب ليحمل محل القلب المتقطع !!

إن معنى ذلك الموت البطيء أو السريع اليكن ، فذلك هو المطلوب في اليمن أو في التيركستان ، يكلف المسلم أن يحيا وفق معتقد جديد يضع

الوحي الأعلى في المناطف ويجعل الولاء لسماسرة الفكر الأحمر ، لا لله وأبيهائه !

يشعر بالامانة والتسكوت : انما كتب على آيات المصحف ان تورث وان يقرض انطلاقا الى الحياة ؟ بالانذار ان آيات اخرى يستلح من شاء ان ينفذها وان يهملها ، وبال هذه الاستعانة بآية ام حين ؟ ثم تحقق بالآيات المطلقة لى الحياة ؟

ان تطلع الى مسلم الى طاعة ربه في كل ما امر به او نهى عنه شيء عانى أو هو الشيء الرقيق الذي لا يوقف غيره ، وبذلك فمن المسلم ان لا تورثها ان يستغني احد الناس بحكم الله ، وان يقول سير القوم الى الموتة وهي تتصير لشرائع السماء .

ولكنه القدر العسكري تحول الى غزو ثقافي وسياسي ، وفتح مساح الجبل الجليل وسفل سبعة ، وخلق عصبات من الاديان والمذاهب والاعلاميين والمؤلفين والفنانين ، جمعوا على ترابنا ينتهون نحوه ليحاطوا احدا ما في الحضارة الغربية ...

بذلك يتضح وجودنا الاوى باسم التجديد ، وتحول مرتبة السياسية الى فناء باسم التقدم .

يبد ان الله احبط كيد الخائنين ، ونشأت في العالم الإسلامي شرقة وقبره بهذه عارية تتند العود الى دهبها وتزوي ما اجدته الاستعمار علينا من قوانين ما ازل الله بها من سلطان !

وبح الطائفة بعودة الشريعة الإسلامية الى المجتمع الإسلامي ، نحب ان تلقى نظرة فاحصة الى هذه القوانين الوافدة ... ان المستعمرين الأوائل الذين فرضوها كانوا نصارى ، فهل هذه القوانين نصارية ؟

الواقع ان الانجيل ليست كتب تشريع ، وان عيسى عليه السلام بين انه منفذ لتعاليم التوراة في الجملة ومعنى هذا ان شرائع العهد القديم هي التي يجب تطبيقها ، فهل طبق الصلوة هذه الشرائع ؟ كلا لان اليهود أنفسهم اعدوا اقلها فكيف يحى غيرهم ليرد اليها الحياة ؟ بل ان دولته ، دافئة الصراية الاكبر وسع دائرة التطبيع ، فاقى اخفان وورث من عهد ابراهيم الخليل ، وابلح اكل الخنزير ، ويعمى التوراة على ذلك . 11

وايتبع نصرة في المصوم الأخيرة ينظرون الى شرائع التوراة نظرة دينية وثقافية ... يستعمل عليها قبول القصور وشيئته كتهديم بيوت بعض الرضى وثقافتها من اسمها ، ورفضها حرف ما توقف تنفيذ كثيرة لوجرم . 11

وتنهض القانون بدور التنديد الصام لتسلطات الوضع الجديد .

وفي اغلب مواسم العالم العربي يكافى المسلم لا يعلم اقربه من تلك الكتاب والسنة ، يكفي ان يكون الإسلام وجود رمزي لا يتخطى حدوده ، اما زبام الحياة الخافتة والامانة ففى يد اخرى نحو ريت كيف تشاء ...

ومضى القانون ان يلقى حق المجتمع وتقاليد وروايت نحو هذا الهدف الجديد ... نعم ، على القانون الذى وضعه الاستعمار ان يعرف الجائر والاعسار من شرع الله وهله حتى يعمل الزمن عمله في تثبيت الإسلام كله بعدما مات تشريعه فى كل ميدان 11

ان القوانين الوضعية التي جلبها الاستعمار معه وظيفة مفردة ، وظيفه اهم من اقتياد امه مهزومة عسكريا وسياسيا ، وورث اذاعة ألعاب عليها ان القوانين الوضعية ها تنبوه تعتمد لوجه الامة الإسلامية ، او مسح حقيقى لكتابها الروحي والعملي ، والهدف "الاخير الايمان على الإسلام من القواعد !

وعندما تقس الساعات بين الدين ومطالب زين القوانين الجبرية واقرارها ، تبدو الشقة بعيدة ... بعيدا عند مثلاً قضية الخمر - وهي تخرج للتقليد الغربية الوافدة - ان المسلم يراها رجسا من عمل الشيطان ، ويوها تصد من ذكر الله ومن الصلاة ، ويرى خايتها مسافة الزودة واجبة المعونة ، ولكنه ينقل الى ارجاء المجتمع فيرى مصانها تقام وجوانيتها تفتح وأسماها تغدو ، وأحسانها تبرز ، وأعلامها أكثر وشايرها يكون ولا يهاوننا فالى مدى إيمان الخ من هذا الصعيد ؟

ان ولاه ولا أحكامه يصمد ، وربما السمع والطاعة يمتد ، والاولا من سائر التعاليم الدينية الاخرى عهد 11

ومن حق المسلمين من كل شئ من أنفسهم ان يفرضوا القوانين الوضعية وان يملوا عليها حرجاً فائقة ففى الوجه الرسمي لتلبية الجاهلية على دولتهم ، وهي الأساس الموضوع لتعريب بقايا الإسلام الخلفية والاجتماعية ، بل الجبروتية المخركة نحو الإيمان من القلب وجعل الولاء لله ورسوله صفر ...

ومن حق المسلم الذى ولد في عصر العجوة الإسلامية وانتصار الجاهلية الحديثة ان

وانقطاع الصلة بين الترجمة الإلهي ولاح الأحراف انتقل من القضايا الخاصة إلى القضايا العامة فإذا قتل يهودي في روسيا فالت الدنيا وقعدت ، وإذا قتل ألف مسلم في بلد آخر لم يتحرك أحد .¹¹

وتمامي فترجح في جنوب أفريقيا قد تثير قليلا من التعليق ، ولكن هذا التعليق يعني عندما يبلغ القضية مجلس الأمن ويتبع توقيع عقوبات على جنوب أفريقيا أن الدول العظمى كلها تستغل قضاها في الاعراض لتبني جنوب أفريقيا ملكا خاصا للرجل الأبيض . يتصرف في شأنه دون حرج - ويصطح حقوق السود بلا رحل .

وكان ملاك الأم السابقة ، أهم إذا سرق الضعيف ظفوه وإذا سرق الشريف تركه . أي أن العدالة تتلوه في القوة والضعف ، وذلك ما يحدث الآن مع التقدم الحضاري الكبير ، إنه تقدم علمي حقا ، ولكنه مشغل بأروار اليهود وأحوال الشعوب ، لأنه لا يؤمن بالله ولا يخضع لحكمه ، ولا يتبع هداه .

ولا نترجم أن القوانين الوضعية شر كلها ، فهي من صنع الإنسان الذي يصحب ويخلق ويضل ويهتدي وربما قصمت أروا جديدة بالهيول خموسا عندما تعمل في الميدان الإداري أو للمستوى . . لكن تلك لا يفتينا أمرين : أولهما أنها جعلت إقصاء الإسلام لارهاق روحه هدفها الكبير ، وألا خير أنها تتل علينا قيم وأعراف أنظار جرحتها لسلطات ملية لا تؤمن بالله ولا بالهم الأخر .

ومن ثم كان الحقن عسيفا بين هذه القوانين العنصرية للعرضة كرها ، وبين جماعير لم تنس ولا هاله ولا يربوه ، ولم تنكر التفتها الإسلامي القاتل .

والصراع القائم الآن هو بين مسامرة القرو الجديد ومروعة عقائده وأنظنته . . وبين حرس الإسلام والأروبا لثرائه وأرائعه وأمنته . .

ولا كان الإسلام دينا متعدد الشعب ، له في كل ميدان توجهات ومعاليم فإن رحي الحركة تسح يوما بعد يوم تتناول السياسة والاقتصاد كما تتناول الزواج والطبقة ، وقد رفضت الجماعير أن تقسم ولاهما بين ما تريد وما لا لها .

وكل يوم يمر يزداد صوتها علوا بصوترة تحكم الإسلام في كل شيء ، وإلازوال العبادات والمعاملات جميعا ، على شرائعه القرو في الكتاب والسنة . . .

وملى أية حال فإن اليهود والصغار جميعا امتلأوا أغلب الأحكام المسماة وشروا لا تشهم قوانين أرضية تحكم شعور الأروا والمساء والأعراس . .

وطامر أن عددا من القوانين والقرارات لبرمانية سد الاجتماعات الأروية ورسالتها إلى وجهته ، والقوانين لبرمانية وثنية الأصل أرضية لتروعا لا ملاق لها بالمساء . . . وإنما تستمد روحها منها تعاليد يثنى - لأمروا - أن يحكم الناس إليها .¹¹

وعند التمثل لشعر بأن واقع القانون كان يتجمل نفسه مكان المنحرف ثم يشق العقوبة المناسبة لتجني ، وكانها اعتدل عن الجرم أو تقدير لوجهة تلو ، أو إباحة الفرص لاجتماع ألامه . .

أعني أنه ينظر في حال القاتل ، بأن كان الدافع إلى القتل مشمورا مباحيا فتلك ، أبعد عنه القصاص وهدأ لأمه طريق الحياة .

إن واقع القانون في الحقيقة كان يتخذ نفسه من القتل لأنه يتصور نفسه مكان الجرم ، أما الأثر الاجتماعي لتع القصاص فهو يتجملها .

وقد مضى هذا الشعور العتل في طريقه حتى أبطل أو كاد عقوبة الإعدام لجماعير الفتنة . . وأسمى من العدالة أن يقتصب رجل ثياب شيع عدوة فتاة ، ثم يقتلن جميعا ، ثم يقضى بقية حياته في سجن مهين¹¹

وفي نظر القانون الوضعي أن أشد ملك صاحب ، ليس له حق فيه إلا إذا زنى إنسان بلام ، وأذنه فلا حرج ولا جريمة ، وإذا كان هناك حق لزوج ، كانت المواجهة محدودة ، فتعيب يتناول الزوج .

ولما أصغر من المريض ، ذسن الرشد اللالي إحدى ومشرون سنة ، أما سن الرشد عندما يتصرف أمرو في أرضه ، فتعافي عدوة سنة . والقصاء في شعور اللال طرم بما كتب ، فلا تسع الدعوى في ذين شغري زاد على عشرين جنيها ، ولا مكان التفسير القاضي هنا في محو أو إبطال . . أما في شعور الدم والعرض فللقاضي أن يتصرف بما يراه أدنى إلى الصواب ، والشعوب هنا وفق مقررات البيعة ، وفي قضية الثرى للمري وعلى فهمي ، الذي قلته زوجته الفرنسية ، زادت الحكمة أن الفتاة لا تسحق عقوبة ولا تقدر على أروها النفسية¹¹

٥١. ما معنى الإجماع وما مكانته في الإسلام؟

الإجماع معنيان: يجب أن نوضحهما: فإما: إجماع على حكم شرعي مستفاد بطريق القطع من كتاب الله تعالى، أو من سنة رسول الله ﷺ، أي أن هذا الإجماع يعتمد على نص في الذي أثبت الحكم الشرعي ويستوى في هذا النص أن يكون من الكتاب أو السنة، ما لمات دلالة قاطعة!

وإنهم يقولون: هذا هو الإسلام، وهذه الأمة الإسلامية، الأمة الإسلامية إذا انفصلت كلها على حكم شرعي من هذا القبيل فقد زالت الحكم قوة، وبسعت الأبدى أي شيعت عليه أولا كانت الأمة لتجميع على ضلاله فإني أخرج على هذا الحكم بعد انفصالنا من الإسلام وخروجنا من الدين!

أما الإجماع الأخير فهو اتفاق أهل النظر، أو أرباب الاجتهاد على حكم ثبت بطريق القياس أو رعاية المصلحة أو تطبيقاً للترائد فقهية المعتبرة، أو ما شبه ذلك من ذلك.

وحجب إجماع هذا الإجماع، وإشراح الأفراد به، وإفا حلت ما يستوجب إعادة النظر فيه فهو نسخ أو تنقيح آخر، من أهل الذكر، وأصحاب الحل، ولقد، وليس لأحد أن يعترف بمخالفة هذا الإجماع، إلا أنه ليس بحزم نفسها، والأفراد الذين يستعملون منهم لابد أن يعتقدوا بهذا الإجماع، لأن الخروج عليه قد يكون فسوقاً أو عصياناً، وربما ألبسه ما يؤذي إلى الكفر.

ونود إلى شرح الإجماع بعينه ، ونزب الأمثال التي تكشف حقيقة الأمر لله بالصلاة فقال : **« حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ خَشَعَاعًا مُبِينًا »** (١) .

ثم عليه السلام الأمانة كيف تصلى وبين عملائه أن الصلوات المفروضة تجزئ على سبع عشرة ركعة. موزعة على الصباح والغهر والعصر والغروب والعشاء، وأن كل ركعة بها سجدة واحدة وسجودان... الخ.

وأجمع المسلمون إجماعاً موثقاً منذ القرن الأول على هذه الحقائق، أما منذ حينها

(1) 1990年12月

وأعداء الإسلام أيقاظ لوقف أمته من شريعته الماهرة ، وهم يضعون العراق علنا
وسرا أمام عودة الشريعة الإسلامية . .

وأما الفريقين لا يخفى، فأعداء الإسلام يريدون بقاء القوانين الوضعية تقيماً
للإرادة الإسلام كله، حتى من مجال الأخلاق، فالأخلاق المدنية لديهم أفضل من
الأخلاق الدينية. .

وأفضل الإسلام ييقون من عودة التشيع الإسلامي حماية الإيمان ذاته وحراسته
أثاره في شئون الحياة كلها ، ورد ما تنقص منها للأغماخ الغيبرين على الانحطاب
بكل مقوماتهم الفساد لتعاليم الإسلام النازلة لشعائره وشرائعه .

بيد أننا بعد ما كتبنا جبهة العدو لا نريد أن ندافع عن أنفسنا بلباسك ، فقد ظلمنا رسالتنا عندما جئنا ألف عام ، وأخذنا نلحن في المآء ، خلال تلك القرون ، ما يزيد ولا تنقص . وكاننا ألبينا الملاك وأغصنا عين الزمان ..

وعندما أرضنا على الحركة شرع ليفي منا يبدأ العمل من حيث وقف الآباء غير معترف بأن شيئاً ما قد حدث في طول العالم وعرضه.

إنه لا بأس أن نغالي بما عندنا، على سريّة ألا نخس ما حققه الآخرون في فترة ضيّابنا عن قيادة العالم.

وشرء آخر لابد أن نراجع اقتناعه ، أن الشمال الإفريقي لا يعرف إلا فئة الإمام مالك ، وأغلب الأتراك والهنود وحدهم من العرب لا يعرف إلا فئة الإمام أبي حنيفة .. ولكل إمام كبير أتباع متحمسون ..

وفلا الأئمة الأعلام صنعهم الإسلام ولم يصنعوه، وما تردد في اعتبارهم نعمًا مبروة. لكن مسلمي العصر الحاضر لا يبتعدون أن يطلقوا حضارة العصر ولكنهم يبررون بحجة نظرية واحدة لإمام يعترفون بغيره. الإسلام أكبر من ذلك.

الغنية السلام في هذا العصر يجب أن يتوجب ما قاله رجال الإسلام في تفسير قصصهم، وأن يواجه بهذه القضية الغنية ما طالع به العصر من نظرات ومبادئ

إن التعصب المذهبي مذكور بين العامة ، وأرى أنه بين الفقهاء جريدة غليظة . .
فإذا شربنا رد القوانين كلها إلى فقهاء الإسلامى ، فسجدوا فسنداً أمام منافع دلائله
وآراء طائفة ورجال مهملوا الطريق واستحقوا التقدير . . وما علينا إلا أن نصنع

- والحكام والعلماء ، وقادة الجيش ... وغيرهم من يرجع إليهم الناس في الحاجات والصالح العامة . فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر أو حكم وجب أن يطاعوا فيه بشرط أن يكونوا منا ، ألا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله ﷺ التي عرفنا بالتواتر ، وأن يكونوا مختارين في بعثهم لما عرض عليهم ، ومصدقين عليها ، وأن يكون ما يتفقون عليه من الصالح العامة ، وهو ما لا يولى الأمر سلطة له ، وتوقفون عليه ، وأما المباحات ، وما كان من قبيل الاعتقاد الديني ، فلا يتعلق به أمر أهل الملل والعقد ، بل هو مأخوذ من الله ورسوله وحسب ، وليس لأحد رأى فيه ، إلا ما يكون في فهمه . فاهل الملل والعقد من المؤمنين إذا اجتمعوا على أمر من مصالح الأمة ليس فيه من نص من الشارع ، مختارين في ذلك ، غير مكروه عليه بقوة أحد ولا نفوذ ، فطاعتهم واجبة ويصح أن يقال : هم معصومون في هذا الإجماع ولذلك أطلق الأمر بطاعتهم ... قلنا ذلك عن الملل تنصرف ..

ونضيف الشيخ محمود شلتوت إلى ذلك حقيقة أخرى : فال إجماع الذي يعتبر دنیا من مصادر التشريع فيما لا نص فيه ، هو اتفاق أهل النظر في الصالح ، وهم رجال الشورى الذين تعرض عليهم الأحداث ، ويتناولونها بالبحث ، وتتفق أراؤهم فيها ، وما أن هذا الاتفاق لا يكون إلا أثر للبحث والنظر كان خاصاً بأهل البحث والنظر ، ولا عبارة فيه بوافقة من ليس أهلاً للنظر ولا بموافقة ، ثم يقول : فوجيز للمجهزين أنفسهم لو أن أي بدعهم ، إذا تغيرت ظروف الإجماع الأول أن يعيدوا النظر في المسألة على ضوء الظروف الجديدة ، وأن يقرروا ما يستحق المصلحة التي تقتضيها تلك الظروف ويكون الاتفاق الثاني إجماعاً منها لأن الإجماع الأول ، ونصير هو الحقبة التي ينشئ اتباعها : وإذا رجعت المصلحة فلم يضر شيء لله . إن الإجماع معتمده معقولاً فلما بالقسبة إلى ما يستند إلى النصوص القاطعة فظاهر ، وما يجب التكاثر منه إلا الذي في قلب مرض .

وتتوقف قليلا عند الإجماع بالحق الثاني ، أنه لا يوجد مجتمع بشري يجب أن يعرض مقرراته لتبعية تمام أمور الأنساب قد تنهوا إليها .

فلذا لا حظ أحد أن هناك تغييراً في معنى المصلحة وقد به الزمان المتبدد ، وما إلى النظر في الأمر ، وتشرح مبادئه من تدفع إلى مراجعة الإجماع السائد ، فإن

فلذا جاء اليوم من ينكر فرضة الصلاة ، أو من ينكر إحاطها على النحو السابق ، فليس مسلم !
وقد التفت بأفئس يتكبرون الشعة ، وسكنت أحدهم : كيف تصلح ؟ فقال كلاماً استغرت به !

ومن عجب أنه لا مثل لي السجود وضع ذنقه على الأرض ، وقال : مكثنا أمرنا الله في كتابه ولا الآية ﴿يُخَوِّذُونَ بِالْأَقَانِ سُبْحًا﴾ (١) .

وأقيمت أي أمام جين كافراً وكفر محترماً وقد بلغني عن أحد الحكام لعرب الكافرين بلشعة أنه أصبح طريقة أخرى في الصلاة ، لا يخرج بها من الوصف الذي ذكرنا ...
وحدث أن أحد الزوج الأمريكيين المقلدين في فهمهم أي الأ يكون الصيام في شهر رمضان ، فكان يصلون قرآراً للشهر الذي يختاره كل علم ، قد يكون يناير أو فبراير على حسب ما يهوى

ومالهم في الرؤساء لعرب من ينكر الصلاة فلم لا يكون في غيرهم من ينكر الصيام ؟ ويقول الله تعالى : ﴿يُؤْمِنُكَ اللَّهُ فِي أَوْلَاكُمْ لِلدُّنْيَا مِثْلَ حَظِّ الْأُخْتَيْنِ﴾ (٢) فلذا أتى من يقول : هذا حكم مؤقت ، كان يصلح دنياً ولا صلاحية له الآن ، أو أتى نص مرآتي آخر ظففته الأمة جمعاء بفهم موحد ، وقبول مطلق ، فرفض من قبله وإضاهاه . فهو بهذا الرض ينسلخ عن جماعة المسلمين وأخروجه على جماعتهم

أما الكثر بدنيهم .
والفتاه من قلم يسون بين جند العقيدة ، وبين إنكار ما هو معلوم من الدين القسوة .

وتنص لانشد عنهم ، ولا تحب أن يكون الذين مرتقا للميث والجن ، إن الإجماع والحالة هذه . سراج غلط الحركات ، وتوجه الفتى ، وتوجه المجهود إلى إنشاء الجدي .

أما الإجماع بالحق الثاني ، فقد شرحه الإمام محمد عبده وهو يفسر قوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُكَ اللَّهُ فِي أَوْلَاكُمْ لِلدُّنْيَا مِثْلَ حَظِّ الْأُخْتَيْنِ﴾ (٣) قال رحمه الله : فإنه فكر في هذه المسألة من زمن بعيد ، فالتفتي به الفكر إلى أن المراد بأولي الأمر جماعة أهل الملل والعقد من المسلمين ، وهم الأمراء يعني الرؤساء

وأنقذ الآخرين فيها حل إجماع مكان إجماع... وإلا فلا يحل له أن يتصرف وحده ويشذ عن الجماعة.

إننى أود لو كتب للمصنف بالإملاء للمهود لا يلزم المشائى، ولكنى لا أبيع لنفسى نشر مصنف بهذا الإملاء شاقاً لإجماع الساندا!

إذا اجتمع أهل الذكر فى الأمة على ما على الرسم القديم، وأثبت الإملاء الجديد فيها، وإلا فكتاية المصنف باقية على ما على عليه.

وقد أشرت على أحد الحكماء بتغييره التاريخ بالهجرة، وحمله التاريخ بدءاً من وفاة الرسول ﷺ!! إن هذا تصرف عايب، وخروج على إجماع محترم دون سبب واضح أو غرض!!

وقد يتخيل البعض أن هناك إجماعاً على أمر ما، وليس لحظه حظ من الواقع.. فإجماع الأمة الأرمية على حكم ما، أو على فهم ما لا يسمى إجماعاً إذا كانت نشأت مذهب لصاحبه أو تابعين أو مجتهدين آخرين.

وقد رأيت من يحضرو الفقه الظاهرى، يرى الإجماع يتم بدوره، وهذا تصرف مستهجن، وقد رأيت لابن حزم أنه كان فيها ألبى بالحق من غيره، وأقم قديلاً، كما رأيت لابن تيمية قديلاً ناصحاً بالذكاء والثبات.

ولفت النظر إلى أن الخلاف العلمى يترجح بقوة الدليل لا بكرة الأتياع. وأن مقلدى الأمة لا يجب لهم أصوات مستقلة عند المناقشة وإحصاء الآراء، إن أراء المجتهدين هي التي تزن، ويكثر بها.

ثم إن المتحقق العلمى، غير الشبهة، فقد ينبغي رأى يكون المتحقق ضده. ورأى أن موارث كثيرة فى الفروع القائمة على الاستصلاح أو القياس أو ما يشبههما يمكن أن تراجى، وتصلر فيها أحكام جديدة.

ولنضع نصب أعيننا أن سطوة الحكم القدامى كانت وراء شيوع آراء ضمنية، واستجابتها مع أنه كان يجب أن تدفن مكانها!!

ألا ترى أن الشورى - وهي أساس النظام السياسى فى الإسلام - عددا البعض من القوافل، وعددا آخرون تفصلوا من الحاكم، يعطيها بصوت شامخ وتقبلها الأمة بصوت خفيض! ومن سيطرة الفقه من لا يزال هذا السخف!!...

٥٢. ما نظام الحكم فى الإسلام؟ وهل الأمة مصلدا السلطة فيه؟

عندما ظهر الإسلام فى العلم كانت هناك دول صفرى وكبرى، وأديان مسماوية وأوسبة، ولسغات مزجوة: مدبرية، وشهورات فردية وجماعية، وهذه طبيعة المجتمع البشرى من بداية التاريخ إلى عصرنا هذا مع تفاوت يسير.

ومصاحب الخلق كان يدري مايفعل لا بدأ بتبليغ الرسالة وبناء الأمة لئلى تحملها! كان يدري أنه رحمة للعالمين، وأنه مكلف بإسعاد الإنسانية كلها، وأخراجها من الظلمات إلى النور.

وكان يدري أن الكتاب الذى يتلو، ولسة النى ينشئها بتفصدا الأشنية التى تنقل الأم من أمراضها المؤسمة!!

وأمرائن العلم كثيرة، بيد أن الوثنية السياسية هي حلة العطل: لأنها هي التى تحمى الوثنية الدينية، وتستبقى الخرافات والنظام، وقد عنها المزعوم على حساب ما الله من حقوق.

ولكى يتم الناس هذا رأيت حكماً يتفقون المدون على اسم الله وتعالى، ولا يتفقون المدون أبداً على سلطانهم ومراسمهم!!

كنت أقرا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (١).

قلت: كان بنو إسرائيل يعيشون فى مصر ذات السماء المشرقة والأرض الضامية فما الظلام الذى يخرجون منه؟ إنه ظلام الاستبداد السياسى والفرعونية الحاكمة، والاستضعاف لأبيهم.

(١) إبراهيم: ٥٠.

وكلمة **مصدر السلطنة** من **مصلحات** **المصدر الخامس** ، ونحن لانهم بالاسم
 ولما فهم بالحقبة ، والمثلل ، كما أننا نرفض **الخاص** بالانطاد .

إن المسلمين أثبتوا حقهم في اختيار الطبيعة ، أو زمن الدولة ، بعد وفاة الرسول
 مباشرة ، وتبين من مسلكتهم أنه لا خلافة بالاضمان أو الانقلاب العسكري ، ولا
 خلافة بالوراثة ، ولا خلافة بجمعية ما تفرض نفسها بأبي لون من لوان الإكرامه
 للملح أو الأمان .

إنها بيعة حرة تمتد إلى أكل رجل تقدمه وراثته ، فإن صدق ظنها في خدمتها
 وخدمة وطنها كانت طاعة دينها ، ووثيقه تقوى ، وإن صدق عليه ظنه فلا
 طاعة له ولا كرامة ..

ولأى مسلم يأمن من نفسه القدرة على هذه الرئاسة أن يرضخ نفسه ، ولأن أنس
 القدرة في شخص آخر وضعه ، وعرض على الناس اسمه ..

إن يوسف الصديق رشح نفسه لشئون المال ، وقال للملك : **خوفاً أخفقي على**
خزائن الأرض أي جفيف عليم ^(١) ورشح خالد بن الوليد نفسه لقيادة المسلمين
 أبول اصطلام بأبوز في معركة الفيروك ، لأنه رأى نفسه أعسر بفسلب العسر ،
 ورشح عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح الصحابي الكبير أبا بكر الصديق
 لرئاسة الأمة وقت مبايعته ..

وما ردو مخالفاً لا تقنا لله ملاساته الصحيحة .. إن أنا فرضى الله عنه رغب
 في الإمارة ورشح نفسه لها ، بيد أن النبي ﷺ أنفهم أنه ضعيف وأنه - مع تولاه -
 لا يقدر على إحيائها .

كما أن النبي رفض نفسه ناساً من عشاق الإمارة ، طلبوا منه أن يسميهم في بعض
 المناصب ..

إن المسلمين في المناصب الكبيرة كثيرة ، وكذلك الذين يستحقون العلق بوابهم أ
 والامة وعندما هي التي تستحق من تتوسم الخير على يديه ، ويزره أقدو على
 مقابله الحكم ، وأجبح خلال القوة والأمانة ..

(١) يوسف : ٥٥

وفي صدر السورة يقول الله لنبيه محمد : **هو كتاب أنزلناه إليك لنفزع الناس من**
الظلمات إلى النور فإذا فهم أني مراد النور **الأنبياء** ^(١) .

إن الكتاب الجديد الذي يحصله النبي صلى الله عليه وسلم ، يخرج الناس من
 الظلمات التي عانها بنو إسرائيل من قبل ، كما يخرجهم من ظلمات الجاهلية
 انغمية على كل قطر ، إنه يحو الوثنيات الدينية والسياسة على سواء .

لأنهم يستجدون لإله واحد ، يستجدون لغيره ، وشارع الحرف والرجاء والرمية
 والرمية تربط قبل كل شيء ، ومنه باقائض الأربع العمل بالانفا

وكل عقيدة سياسي أو اقتصادي يربط المشاعر السابقة بغير ما ، فهي ذراع شره
 وأسباب غدا ، ومعه من الإصلاحات الأساسية للنظام الإسلامي .

ومعروف أن شبكة التسيجات الإسلامية تتناول القود من المهد إلى الملاحه ،
 وتتناول الدولة من تنظيف الطرق إلى عقد المعاهدات ، والامة الإسلامية بهذا
 النجاح أمة رسالة تعمل بها وتدعو إليها وقد قال الله لنبيهها : **هو قولنا عليك**
الكتاب تباركاً لكل شيء **وهو روضة وشجرة للفقيرين** ^(٢) .

ومعنى هذا أن الحكم الإسلامي ليس دعوة إلى سيادة جبر من الأجناس ، ولا
 هو محاولة لنشر ثقافة أجنبية ، ولا تعاون بين أفراد شعب ما ، كي يسيروا في
 مستوي معين من الدناءة ، ولا كساد .

إنه دولة تحمي عقيدة وتقيم شريعة ، وكما يعمل الناس وراء اسمهم في المسجد
 يسيرون لله ، ولا يعبدون هذا الإلهام ، يحيى الناس وراء حاكمهم لإرضاء الله وإقامة
 دينه ، لا لإعلاء الحاكم ، ويشايح همه في سلطة ، أو قلته ظالماً لعدوا ، وارتقياً للنعم ..

ذلك هي السمة العامة لنظام الحكم الإسلامي ، وللتفاصيل مكان يحيى ، بعد
 والامة الإسلامية - وقد بناها وطنيتها - مصدر السلطات التي تتشأ بين ظهورها ،
 أعني أنها وحدها صاحبة الحق في اختيار الرجال الذين يلون أمورها وفي محاسبتهم
 على ما يقومون به من أعمال ، وفي فهم أو إنشاء عليهم ، وفي معاقبتهم إن
 أساءوا ، وفي عزلهم إذا شئت ..

(١) النحل : ٨٤

(٢) الزمزم : ٨

ومن السنة تصور أن الإسلام يكره الجماهير على قبول حاكم لا يرضونه ، لأنه متحدر من عائلة كذا !!

وأتفق المسلمون على تسمية الدولة الإسلامية الأولى : «دولة الخلافة الراشدة» كما اتفقوا على سلب صفة الرشد عن حكومات الأسر القوية أو العائلات الكبيرة التي هيمنت على التاريخ الإسلامي فيما بعد

أخذ جاء في السنة النبوية أن الله لا يقبل صلاة رجل أم قوما ومم لا كارهونا الصلاة عبادة مسيرة الأداة ، يقبل عليها الصالح والماجر.

أما الرياسة العظمى للأمة الإسلامية ، أو ما قاربها من مناصب حساسة ، فهي شبه هائل ، واستبلاء التافهين عليها بوسائل ملتوية مسيئة ، بلاد ساقط ، ولعله سبب الأول أو السبب الأوضح في طي أئمة الإسلام شرقا وغربا ...

الخلافة : نظام بعيد عن الفرعونية ، والكرورية ، والخصيرية ، والخليفية رجل مختاره الأمة - أي إنه يرشدها جاء - وتنتظر في منتج وفاته لورثتها وفيها تستفيقه وفقى ، وتستبعد إن غير !

أو كما عبر ابن حزم : فإنه الأمام الذي يجب طاعته ما قادنا بكتاب الله وسنة حوله ، فإن زاع عن شيء منهما منع من ذلك ، وأقيم عليه الحد والحق ، فإنه لم من أذاه إلا بخله ، خلع وولّى غيره .

وهذا هو ما قصده بكلمة «الأمة مصدر للسلطة» ولا يجوز أحد على كاز ما تقرره هنا ، وما تقرره هو ما ترعّمه ، إن صدقا ، وإن كذبا ، شئ النظامية الحديثة ..

وقد رأيت بعض الدينين قلقا من هذه الكلمة ، وربما أنكروها ؟ ..

للإمام أحسن مؤلاء للكتّوين حالا من يقول : إن الكلمة تغطي الناس حتى حرم والخطيل وهو له وحده !

وما ينكر مسلم أن هذا الحق لله وحده ، ولكن ما علاقة هذا الحق بالقرآن لرب لمن يجدا اختيار الأمة بحكاهم وأخصاصهم لسيطرتها؟ لا علاقة! ..

فالأمة الإسلامية المؤتمنة بكتاب ربها وسنة نبينا لن تخرج عنهما أبدا ، بل إنها التي تحاسب من يخرجونها ..

وهناك متدينون محصورون فيما رزوا من ضروب الاقليات والتجاوز ، للكلمات في أذهانهم طين خاص ، وهم على استعداد لاتباع أي حاكم ، جاء من أي طريق ولو كان عن طريق المستعمرين ، ما دام يقدم لهم الكألا مؤلا لا دين ولا دنيا .

وننظر في أول خطبة لقلها أبو بكر بعد استخارته أميراً للأمة كلها وأولها الناس ، أنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسألت فقوموني

الصديق أمانة والكاتب خيانة ، وقصيف نيكوم قومي عندي حتى أخذ الحق له إن شاء الله ! والقرى نيكوم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله .

المبعوثى ما أطلعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ...

تدبر هذه الكلمات ، الخليفة المختار من الأمة يقول إنه منها ، ويطلب عزنها إن أحسن وقومها إذا أساء .

ويتعهد بإعزاز الضعفاء ، حتى يبقى لهم حشم وقمع الأقوياء ، حتى لا يخرجوا في حقوق غيرهم ..

ويختم كلماته بأن طاعة الناس له مبرورة بطاعته لله ورسوله ، أي بإفانسته للكتاب والسنة ولا سقطت طاعته ..

أنتك اعترف بسلطان الأمة ورايتها أصرح من هذا الاعتراف إنه ليس سلطانا ينظر إلى الناس من أعلى ، ويترقب منهم أن يسارعوا إليه زائفا

إنه رجل يطلب من الأمة أن تسمعه رأيا يطعم منه هو وأهله وليس لهذا كبيرا جذا يضع يده على مال الله ، ويوصي إلى الخدامين والداخين فيجوزون إلى ساسته ..

إن على المسلمين أن يعرفوا دينهم ، ومكانتهم . ولا هنكوا بالأوضاع التي رثوها وأقروها ! ..

٥٧. ما العالم الأولى للدولة الإسلامية؟

الناس ترحب بالحكم اللدني لأمرين: الأول أنه قد خرج متخالف في العقيدة، ويتفق عليهم الخلق، وبعلمهم - بلغة العصر - مواطنين من الدرجة الثانية! وهذا التصرف منفي فنياً تماماً في الدولة الإسلامية، إذ أن الإسلام يجعل المواطنين المخالفين في المعتقد في ذمتهم وعهدهم وضرباً يؤجر لهم الحماية الدالية والأدبية على تحوّل معرفه وأن تفرقه دولة أخرى.

وهذا سر بقائه لطوائف المدينة المختلفة بين طوائف المسلمين دون حرج أو عتس، على حين فقيت القلة الإسلامية أو أصحلت تحت سلطان العتاد الأخرى ..

والخبر الثاني من الحكم اللدني أن الخليفة، أو الرئيس يفتح ميقات روحية وغائصة، وكأنه مثل الله على ظهر الأرض، فله ما يشيه العادلة أو العصفاء

وهذا المعنى متكرر ومفروض في الدولة الإسلامية، فإحكام واحد من الناس، غير أنه أقتلهم حملاً، وأشدهم مسئولية، وهو يخفي ويتنظر التصويب من غيره، ويصف ويترنم من مظاهر العظمة والقارة، ويرى الخيلاء، جوع، والتواضع تقوى ..

وقد رأينا في الخلافة الراشدة كيف يقرب الخليفة من الناس ويلتصق النصح والعموم، وكيف ينظر من مظاهر العظمة والقارة، ويرى الخيلاء، جوع، والتواضع تقوى ..

وأول معالم الدولة الإسلامية الشورى وطلب الصواب عند الله، والانتصايع للحق إذا ظهر وتوفر الجو الذي يحق الحق ويتطل القابل ..

والشورى خلق إنساني رفيع، محصور في المجتمعات فذهبا وحديدتها، ومعروف في نظم الحكم من قديم، وإن خرج عليه كثيرون، وقد عرف عليه مستبدون.

يقول الحسن: الناس ثلاثة: رجل رحيل، ورجل نصف رحيل، ورجل لا رحيل! فالرجل الرحيل من له رأى وشورى، والرجل نصف الرحيل من له رأى ولا مشورة له، والثالث من لا رأى له ولا مشورة!

روى البخاري عن عائشة قالت: ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله ﷺ! وهو بداهة إننا يستشيرونهم في شئون الدنيا، والصلح العامة، عام ينزل فيه وحى ..

وقد استشار المسلمين في معارك بدر، وأحد، والخندق، ودون على أنفسهم. وروى أحمد بن حنبل في مسنده أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعنا في مشورة ما خالفتمنا».

روى ابن يودويه عن علي بن أبي طالب: سئل رسول الله عن العزم - يعني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَزَمْتَ فَتَرَ كُلٌّ عَلَى اللَّهِ﴾ (١). فقال: «مشاورة أهل الرأي ثم التبعهم!!» والغريب أن أحد المفسرين شرح الآية فقال: «تستشير ثم تخشى على الأرض لا على الشورى، أي تتخالف الشورى وتتبع رأيك أنت وتدخل إلى أن عصا حاكم مستبد كانت فوق رأس هذا الفرس الضطرب، فقال لإبراهيم الحاكم ما قالها ..»

إن الله تبارك وتعالى وصف المسلمين بهذه الكلمة ثم وأمرهم شورى بينهم (٢) وهو قول فصل، ليس بالهزل! وكيف يحس أحد بعد ذلك ليقول: يخشى الحاكم على رأيه معاملة شورة الشورى، فلم كان طلبها من قبله؟ ..

ثم إن تنفيذ المبادئ القوية تتخذ على اعتداد لزمان شتى العصور، فاعلم فرصة، وتطوع الناس بطلب في بعض المساجد أو المدارس كان لصوره المألوفة في مجتمع سانح، أما اليوم فقد جندت الأجيال له، ونسقت مراحلها وسبلها، وبسجل ترك التعليم للتطوع الفردي! والجهد فردياً، وكانت صبيحة شجاعة تجمع الشبان والنسب للانطلاق إلى ميادينهم وخوض معاركه، فهل تفعل الآن ذلك الآن؟ أم تجعل الجيش كياناً دائماً، وتجعل للانحياز به سناً معينة، وترصد لتربيته وتكوينه ونسليته الأوف المألوفة؟ ...

كذلك الشورى إنها مبدأ مقدر، وفرصة محكمة، ولا بد من إنشاء أجهزة لها، وإعدادها بأوعي الخبرة، وتنظيم أشير على مشورة الدولة، وتكثيفها من تقديم أظافر الاستعداد الفردي، وضمان مصالح الجماهير!

ومحاولة استنقاذ الشورى فكرة ساذجة، أو جعلها نافذة عارضة، ككتب على الدين وخيائنه له، ووزنية في إرضاء حاكم متسلط على حسب الإسلام وأمنه، ولم يخل حيل من أئس يبيسون بينهم بعض من الدنيا، وقد قال شارل دجال، حاكم مستبد:

ما شئت ما شأنت ما أقصد! فاحكم ذات الواحد القهار!!

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) قصص: ٢٨.

ومن هنا نفهم ما رواه ابن عباس أن رسول الله بعث معاذاً إلى اليمن - أميري عليها - وقال له : «اتبع دعوة المنطوق، فإنه خير بينهما وبين الله جعليه» .

وتدعى أن يكون الظلم مسلماً أو غير مسلم كما جاء ذلك مصروحاً به في روايات أخرى ..

ولمالة الحاكم إفهاماً، وكما يحافظ الذباب على الطلوي، ويهاوى الظالمون عند أصحاب السلطة، لا يحتاج ذلك إلى طبراً، وقد نبه النبي ﷺ إلى عواقب هذه المسألة، فقال : «سكون امرأه تشيع خون وتكون لقبه بوق، ومن أكثر القصد ولكن رضى وتأنى .. ولم يذكر تشي جزاءه ؛ لأنه معروف ، ثم رأى أن يدرك جزاء مؤذي الباطل وأتائب المسلمين فقال : يكون امرأه تشيع بوقاً أو حتى من الناس، يكونون ويطعون فمن دخل عليهم فصدقهم بكندهم وأعلمهم على ظلمهم، ليس مني . ولست سمعاً ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكندهم ولم يصدقهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه» . وفي رواية أخرى : «لمن صدقهم بكندهم فإعناهم على ظلمهم فإنا منه بوقه، وهو مني بركه» . والروايات كثيرة في هذا الموضوع الأساسي في حياتنا وارتباطها ..

ونعلم ذلك من الشهيرة الممتدة بين أمة الفقه الإسلامي وبين جمهور الحكام الذين تسبوا خلفاء، وهم ملوك من شر الملوك !!

وفي كتابات جماهير الأمة تعرف عدالة الفقيه بقدر قوة أو بعده من باب المسألة وما ذلك إلا شعورها العميق بأن هؤلاء السلاطين تطاع طريق ، لا خلافه راضياً ..

أما رئيس الدولة - أو الحقيقة الصالح - لوفي للأمة ورسالته فإن محتجته عدالة، وتوقيت دقيق، وأكيد واجب على جمهور الوترين : أليس السامع على مصالحهم الناعم بأصنافهم ؟ أليس الحامل للبراة القائد للمجاهدة ؟

لقد جاء في السنن أنه أول لسيعة الذين يعظمهم الله يوم لا ظل إلا ظله .. كما جاء عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : «أفضل الناس عند الله منزلة يوم القيمة : عام عادل فقيح وغير عباد الله منزلة يوم القيمة إمام جليل فوريق - أحسنها

كيف يقال هذا، مع قول رسول الله ﷺ : «ممن غير عشيرة إلا يقرب به مغفلاً» .

بمع التمام حتى يمكنه العمل، أو يوقعه الجور، وإن كان شيئاً زبد على غلده» .

إن واقعنا من الخلاف الرشيد لإدراج بهاء الكلمات الجمعاء، وكيف يفهمهم من حكام الجور ..

ومن الذي أعطى الحاكم مهما علا شأنه حق الاعتراض على رأي الجماعة أو رأي الكثرة، لولا أن يد رافضاً سكنت المناطق، ورحم القضاء؟ وما قيمة

لو أنهم تفرق بينهم ؟ مع هذا الجور ؟ إن أجهزة الشورى المنطوقة، الفخيرة للدولة هي التي تحفظ حدود الله، وهي التي تأخذ على أيدي الظلمة وتقي الأمة شرهم، وتنفذ قول الرسول الكريم : «إن الناس إذا رأوا الظالم لهم أغواء على يديه وأبغضهم إليه يقبلهم» .

وقد حكم التاريخ الإسلامي قريب من مائة خليفة من يفتح أسر تعد على أصابع اليد، أكدت سيرتهم حاجة المسلمين للمساءلة إلى أنف أجهزة الشورى، وأشدما محاسبة لولا الأور ..

ومن معلم الدولة في الإسلام حفاظها الشديد على حقوق الإنسان اللادية والأدعية، وتغيير الأبن للأفراد والجماعات، والتعريب من أبناء أحد أو تزويجها وجعل النساء والأولاد والأعراس في مثل حرمة البيت الحرام وليلد الحرام والشهر الحرام أو أئتمد . لا تزل المعدل مع الليلد والمارح والقريب والقرين والفقير، وتعهد الأمة جمعاء بالهلال إن هي تبعت الهوى، ولستمرات الفساد فيوماً كان ربك ليقلب الأرض يقلبهم وأهلها يعذبون ؟ (١)

وما كانت السلطة ضرورية كضرورة الجور، فإن ليس عليه الصلاة والسلام حذر الحكام من الليل مع الهوى فقال : «استعان من أسمى نبتاتها شياطيناً : إمام ظلم شعوبه، ولم يعل مدق، ولعلل من الاختلاس من المال قدام ..

والتعريب أن الفساد السياسي والاستعلاء الشخصي لا يفترقان، فقلنا تحب مستجيباً إلا ساروا لك الأمة، متعرضاً فيه بغير حق، هو وأقاربه وأتباعه !!

وعندما تراجع تاريخ الخلافة غير الروائية، وجعلتها الشديدة على الإسلام،
نخل إلى ترفيز زمن الخليفة، وبرزيمه لا تتخلف عام بين الجين والجن.

ولا نعش هذا الحكم أن الأجانب سبقوا إليه في معالجة الاستبداد السياسي
الذي أصبوا به، ونحو ما من عذائيه وما نجونا!

وأعرف أن هناك قوماً لم يطقوا يعرف في التعقيب على ظلم قديم أو حديث،
يفتحون بتعقيد المسألة التي يصفها الحاكم في الحكم الملائم لهم لم يقرروه في
من، أو شرح!

وعولاء لا يجوز أن يؤزن لهم رأي!..

قال صاحب: يمكن القول بأن تعقيد زمن الخليفة مسألة لا يالر الإسلام بها ولا
ينفي عنها، فما رأى الإسلام في وجود أحزاب سياسية تسمى للحكم وتعمل له
أبنت وهي بعينه عنه، وتقوم بمقاومة المعارضة الشعبية، إنا جد ما يستلحي ذلك؟
قلت: هي كإبنتها، لا يوجبها الدين ولا يبرمها..

إن تكون المناصب الكبيرة، واختلاف وجهات النظر، أثر طبيعي للحرية الفكرية
التي وزوها الإسلام لا تباعد، وعرها الناس بعد صراع مزروع الجارية والأدعاء..
لنغال الحكم الفردي في الاستبصار، بكل شيء، هو الذي حظير على الناس حدا
طليعا لهم كان يكن أن يارموه في سلام وسفاعة!

قال: كيف يسمح الإسلام بمعارضة لولي الأمر؟

قلت: إن المعارضة في نطاق الشورى، وطلب الحقيقة واحترام حق الكثرة،
لا شيء فيها، وهذه المعارضة تقع في تفصيلات تشرعية واجتماعية ليس لأحد أن
يفرض رأيه فيها، لعلف، سواء كان حاكماً أو محكوماً، ولشعربك الأضال!..

هب أن جماعة من الناس تعيرت من مذاهب الفقه الإسلامي أن تؤخذ لوكالة
من جميع الزرع والشعر، وأن تبقى المناجم ملكاً لأصحابها على أن يؤخذ منها
الخمس، وأن يسرى بين يده الرجل والمرأة، وأن تباشر المرأة عقد زواجها، وأن تقبل
شهادتها في الدية، والأعراض كما تقبل في الأموال، وأن يقبل اشتغالها فيما
وراء الأصناف الستة... إلخ ثم وضعت هذه الجماعة منهاجها هذا وعرضته
على الأمة، وذكرت أنه أسس حكماً إذا منعت التأييد من الجمهور، أكون

٥٤ ما عدى تقبل الإسلام لأسس الدولة الحديثة؟

أجدني بحاجة إلى تركيزه أنه لا فرق بين مقتضيات النظر السليمة، ومعالج
الدين الحنيف!

إنني أحياناً أصبح بغنى الأفكار الدينية الماثلة على ضوء سلامة النظر، كما
أصبح بغنى السالك التي يزعم الإنسانون سلاطنتها على ضوء الوحي المصور..
وقد بحث عن المصور بأس الدولة الحديثة بعد ما ذكرت أن الحكم عندنا
يقوم على الاختيار الحر، وأن الشورى تظم الحاكم، ماذا بقى؟

قلنا أبحث أمور نعرضها واحداً مل يقلل الإسلام أن يختار الخليفة
لأجل محدود؟

قلت: ليس هناك نص يمنع، فإنا وجدتم الأمة أن ذلك أحققت لمصلحتها،
وأصبح لغيرها، وأبعد عن إساءة السلطة، وأضى إلى تواضع الحاكم، فلا حرج
عليها في تقريرها..

قد تقول: إن ذلك لم يعرف في تاريخ المسلمين العصور! ونحسب بأن تاريخ
اخلافة غير الروائية ليس أسوة، بل قد يكون عاراً لم وراثته لغيرها

أما تاريخ الخلافة الروائية فإن اختيار الخليفة فيه لم يتخذ نهجاً واحداً، فلو فكر
-رضي الله عنه- أن يجتبه أهل المل ولما قد اتجاهاً مباشراً، وصرعها إليه الخليفة
للقائم بعد مشور عامة، وذلك الظروف التي كانت تمر ببلدك، فغنى مستقبله في
قال صابر مع الأوم والقرن جميعاً.. وعثمان أخير من بين ستة منبهم عمر، ثم
أقبل الناس يتابعونه حتى تم استخلافه.

وطئاً بأبنت الجماهير بعد مقتل عثمان بداية حوة لا ثروة فيها!

وهذا الأسلوب النجود يشير إلى حوا كل ما نبع الاستبداد الفردي، مهما
اختلفت صوره، ولا يجرؤ مسلم على تحريم تعترف لم يجرى في تحريمه نص، من
الكسب أو السرقة، أو ألقبس الجنى، أو للموائد المرموعة، بل التي يقال لها: إنا
وجدت الصلحة فلم نشرع الله!

إنني أستطيع الدفاع، ساعات إنسان وإنسان، فوالا كذا في تغيير هذا البلاد،
ورسمنا إنسانا طبع به، جده غير من القرواء الذين يلبسون زي القمها، يقولوا
باسم الإسلام: لا - وهم - من الناحية العلمية - لقد الناس جهلا بدين، وخبره
بأديهم وديانهم؟

قلت وماذا أقول: إن مبادئ الإسلام معصومة، أما الذين حكموا باسم
الإسلام، وهم شعراء، الأطباء، من ثلاث أو أربع عائلات، فأمرهم فرط، وزبد
إصناف الإسلام منهم، وحداية حاضرو واستقبله من وثهم ..

لقد سقطت هذه الخلافة على أيدي لشار في القرن السابع الهجري، ثم سقطت
الخلافة مرة أخرى على أيدي الصليبيين في القرن الرابع، كانت حكرًا على أولاد
الأول، كانت حكرًا على أولاد العيسل، وقبائرية كانت حكرًا على أولاد

عصفان، وهو من وجهاء الأناضول في القرن الخامس، هل هذا الوضع هو الذي
يستطيع الإسلام، ومن أجله يرفض تقبيله مدله الحاكم، ويرفض رجود
الأحزاب السياسية.

هذا التصرف رتبته عن الإحادة يتركب عصيانا مسلحا للحاكم الموروث لا
هذا ولا ذاك ..

نعم هو خروج من طاعة من خلقه فحكم القوي مدنا.

الائمة لا يخرج من طاعة لغير الله وأئمة، ورجلت دار الإسلام
بها للناس والحل:

لقد ذكرت بغير خلاف لتغير التي يختص زمام القرواء.

وهذا ما يسجد في حقيقة، من في جماعة من الناس، بأن يضع منهاها
لصالح لبلاد، في سنة زمنية، ولا يخفى مع غيرها، في أقلام منفصلة
أو لإقامة حجة، صريحة، مستترة، أو تغيير شليب عرض الإسلام، مسئلة في
ذلك، لا يمكن حكمة، قد التي يحد من رتبة حزب ما، انصافه، فذلك؟ سواء
مضاهي أو الخليفة أو يحيى.

الكون قد تفتت نتيجة بخرجة هو جماعة؟ لا هذا ولا ذاك، لأن الأمة
سبقوا كالمهم، يستغيث من ربه، ويقر من نواه صوابا، ومن فاز بقضايا اليوم
يمكن في يده من هذا، من فوج غير ضيق في كتب لوزار المام.

ليس من قصد من لا يدين، ولكن ولا احتيال، والامتناع التهم بالأياء،
وذلك انجيل في رسله في الاخر، من فوج عا يفتني؟

قال صديقي: كذا، معب لشيعة لا يحصى المسائل في الغرب!

قلت: زعمه قد قد ضحبه كثير، فريد، به، أنه قد عدي، لأن الاستبداد
السياسي يترتب عليه من في الدعوة، مع الإسلام - أحزاب الاستبداد بكل ما
لدى من مقل، لا تكمنه نصيحة، بل عسكرة، أبيت طويلا في أمنا، ووطن
الحكم القوي به من جهة، حيث - شتر - قس: لا لا يقل فاع السند محمد بن
القاسم في كونه من يعرض في لخص غيبة عمره مهانا مبروقا؟ لا لا يقل
أو حقيقة صفي - حجب - كذا يقين شك، يظن ابن حنبل؟ يقول ابن تيمية
محبوب: قد يقين حجب - من بشر عصره من بعدكم؟ لا لا يقرب رؤس
مجلس لدية من رتبة شيوخه، حيث من بعد مشرولا؟ لا لا؟ لا لا؟

والحق أن مسألة الإسلام الأولى لم تكن من كثرة حكوماته فخر ما جاءت من تعامله الحاكمين ونزرة مواهبهم ، وسقوط متعصب الطائفة بين أناس لا يملكون إدارة قوة صغيرة أو شراكة صغيرة !!

وما بد من كيان سياسي وثقافي موحد للمسلمين ، حتى يستطاعوا أداء رسالتهم وإلزام حق الله عليهم ، أي جانب ما هو معروف من أن الإخلاء اللبني بين المسلمين ، يستحق أنوعه نسب ، وأن هؤلاء المعتد فوق هؤلاء ، للزبائن الموقية والأرضية ! وقد يقطن طائفة أن هذا شرب من القلوا الكسبي بعد ما درست التاريخ الحديث للمسلمين بين المسلمين وفهم شيعت ، بأن هذا الترابط الإسلامي ضرورية حياة وبناء البناء بين مل وتحت نظر إلى المسلمين بكونه ، وزود لهم لبنات ، بل الفصايا ولا تزال الضمان الأولى تتوارثها الأجيال ، وتزيد جلتها وميثاقا ، حتى طالع هذا القرن الخامس عشر ، مع عمق الفجوة بين اليهودية والمسيحية واليهودية ، زالت لكل معالمها لوجود الإسلامى بالقتل .

المنابع الطائفة في الهند ، والحرب الكيميائية في أفغانستان ، وحجاز صبرا وشاتيلا في لبنان ، وتغير ياسين في فلسطين المحتلة ، أبها التفتة على الإسلام وأتته ، حيث كانت ، قلم مشترك يجمع بين الأعداء على اختلاف الأركان والكائن ، ويغيرهم بانتهاز فرصة الضعف السائد للإجهاد على هذا الدليل إلى الأبد ...

مهل يلام المسلمون إذا كروا في وحدتهم وخلاتهم بعد ما فلتات لفرعات الغاية والضعفيات الإنسانية في حزن دمائهم وحفظ حقوقهم .^{٩٠}

وسؤال آخر ! من بين الوثنيين وأهل الكتاب نسي عقيدته ، أو أسم الله من تدابره ؟ حتى يقال للمسلمين : اسما ما لديكم !!

إن التحالف المكتوب وغير المكتوب ضد الإسلام يحمل الإنسان بهتف بين الخين والخن بالبيت الشهور :

كل يوم تبتدي صرورا ليسالي

خلفا من أين متعبد عجيبي !!!

فانتم الإسلام دولة الجامعة وأند إليه خلافته القائمة ، ولتسلم المسلمون من أنظمتهم اللامبية كيف يستخرون القوياء ويثبوتوه ..

سمعت من يقول : كيف يمكن حشد المسلمين في دولة واحدة ، وكعت راية واحدة ، وهم أوف بولقة موزعون على أقطار فيحاء .^{٩١}

50. كيف يقيم المسلمون دولة إسلامية واحدة ؟

﴿ إِنْ قَدْ أَحْبَبْتُمْ إِلَهُكُمْ وَآثَارَكُمْ فَاتَّبِعُونِي ﴾^(٩٢) . هذه الآية أول شيء ، على صفة استبا وقوى رسالتها . إنها أمه أوثقها الله كتابه وأوصاها أن تعمل به وتدعو إليه ، وأن تحمل وتوجهها للناس والأرضي مريوتا يعطلق لرحى الأعلى ، وترجمة عملية لراد الله من خلف : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَمْسُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِأَعْمَارِهِمْ وَتَتَرَاتِبُ عَنْ الشُّكْرِ ﴾^(٩٣) .

وقد بقيت خلافة الأمة المسلمة قائمة برسالتها تلك على تفاوت شير ، أحيانا تقوى فلا يعجزها شيء ، وأحيانا تعجز فتلجأ إليها المدد !!

ومع التامل في التاريخ الإسلامي أستطيع القول : إن بداية المسلمين إلى يوم الناس هذا يرجع قبل كل شيء إلى حفظ الله تبارك اسمه ! ثم إلى وفاة الجماهير المعيق لنبينا ثم إلى جهاد لفتحها ، ولخدمة والبرين !

أما التاريخ السياسي فركام من الألقاب عما على سر الأيام وبلغ ذروته في هذه لسنين الجفاف ...

وإن كان يظهر بين الخين والخن خيلعة أو ملك يسبح للعدى ، ويهدد الطريق ويكبت العدو !!

لقد شقت الأمة طريقها بقوة على عهد الخلافة الراشدة ، وكانت الجماهير والحكام جدما نورسا لا ككالة بيها .

ثم اضلعت أجيود الحكم العليا ، ودخلها خل مبرقع أيام الملوك الأموية وصعد الملوك العباسية ، ومع ذلك جمهورية العلماء ولخدمة أن يتقوا الأمة وحيدة الضعف وهفوف وراء أوثك الحكم ، كان المسلمون أمة واحدة وخلوة واسعة توثيقا ..

ثم بيت إلى جوار الباطح فليطبع سيقان أخرى ما لبثت أن انتعشت وتحوّلت إلى جيلع قوية ومن هنا كانت دول إسلامية شتى ، فشامت لقوة الضعف !^{٩٤}

(٩٢) الحج (١) .

(٩٣) الآية ٩٢ .

تقول بصراحة وضراوة : الإسلام استناداً سياسياً وثقافياً من مقابل هذه الأجاس ، كما يكتب تشارلز رسيبياً من معانيها الأخرى! ...

ولا كنت عريثاً مسلماً فاقى سوف أفتحت عن بيت قومى وأقنعت إلهم ..
ما هذه المروية التي اخترعوها ، وكابروا بها الإسلام ، وحسموا الولاء له ، وجعلوا قوتها قوة للمسلمين ، وبعثها بعينها عن هملها ..

هل العرب بلا إسلام يصلحون لنشأ ؟ أرى يقدرون الإنسانية أى شيء ؟
تفرست في وجود المرويين المجدد ، ورائى منهم ضيق على محمد ، وهو أسمى قمة في التاريخ واستهانة مصحبه ، وبنا حملوا اللعالم من رضى ! اكأن مقلداً من هؤلاء الأصحاب الأيلغار الأقرانة ! وأن يبلوا على سماع للنش حواء صمود بن كلثم :

إذا بلغ الرضيع نسا لمطامسا

تغصركم ، أسياسر مساجميتها !

لسانها : أيها المسلمة

لا حياة للعرب ، ولا شرف ، إلا بالمروية إلى سيرة أجدادهم الأقدمين ، والإخلاص للإسلام عقيدة وشريعة ، واستيطان أدبه ، وإثراء هملته ، والاستقامة على صراطه المستقيم ..

أما أن يعود البعض إلى قير مسيلة ، يتلذذ العودة إلى الحياة ، ويطلب منه قتيلا مصوحه عريضة جديدة ، فهو لا يكرأ لنته إلا خيلا ، ولن يزيد العلم إلا سخرية بها ...
ولا يترك العرب تقليد الإسلام السياسي ، وتقرى الخلافة الراشدة ، وسيلوك الفقهاء الكبر ، ماذا صنعوا !

استبحوا تقليد المناخوة والمناوة ، وللمعلم بالأداء ، واسترحاض العلماء ، فأقفا العرب في أرجاء الدنيا تنفس بحرية ، وتعرض حكامها في طائفة وثقة ، ويتعسف ضلعهم إذا شامت .. أما العرب ، فإن حاكما واحدا يقدر على سحق عشرات الأرواف لتكون لمروية لغير الله ! ارجع هذه الفتكات الحوية بقرصى بقية العرب بالسكرت المثلث !
أفنى القواء التي فى جاملتهم الأولى لم يلبثوا هذا الدرك من التناقل !

إنه لن تقوم دولة الإسلام الكبرى إلا إذا اعتنق العرب الإسلام من جديد ، وكرروا ما صنع مسلفهم الأول ، ولا ذهب الله بهم رضى بغير منهم .

قلت : إن المسلمين يبالغون لكى مليون نسمة ، وقد قامت للمسلمين دولة رضى مثل تلك العدد .. فإن قلت : إن المسلمين على أرض واحدة ، ومساحة مشتركة .

قلت : إن الاتحاد السوفيتى قمر على بناء دولة واحدة فوق أرض تأخذ نصف أوربا ، ومثل تلك من أسيا مع تعدد الأجاس واللغات !

إنه لا توجد عوائق مادية تمنع قيام دولة واحدة للمسلمين ، بل إن هذه الدولة ظلت قائمة أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، ما يخرج عن نطاقها إلا عدد محدود ، يتركب فيها بسطل بين بعيد بحياتها .

إن القومائق دون هذه الدولة نفسية ، ومعتوية ، واستعمارية ، ورضى ترجع إلى المسلمين قبل أن ترجع إلى خصومهم .

إن العهد من الإسلام ، وألوت الأذى الرعب الذى حاق بشعبه كانا من رواه سقوط الخلافة ، وارتقسام الأقباء لقرانها ، بل إن المسلمين في أقطار شتى من إفريقيا وأسيا يجزوا عن الأرض التي احتلوا طويلا لا كرمها ، ويرون أن تسلك قلة حاد تركوا في همله الأرض حكاما مجملين يجرسون مصالحهم ويستحى أن يقول : تركوا حكاما حوزوا لاسلامهم !

ومن هنا يؤكد أن حركة الدولة الإسلامية الواحدة تحتاج إلى تعهد واسع ، بعيد المسلمين أولا إلى دينهم الحق ، وبكلا أعتادتهم وألماهم برباطه وعتاده وشراكمه ونفائله ... كما تحتاج إلى عصر حاد بأخطاء الناس وأسباب الانهار حتى يمكن تجنبها ، بألمة ومقدرة ، وتبني الدولة الجديدة على قواعد لاتال متبا الأام ..

ورضى عن ليليان أن هذه الدولة الجديدة ليست مركزية : أيها مجموعة من الأقطار أو الولايات لها حكامها المحلي ، ويحضى شوراها ، ويصنعها المعوية ، ويكون منها بعد تلك : كان الدولة الكبرى لوجودها بمصميتها الحظية بسلطانه لعملة ..

ويستطيع الأشخاص وضع القلب القانونى لهذا البيان السياسي ، ولا يخرج عليهم أن يقتبسوا من الأنظمة اللطيفة إلى دولة مشابهة بعد إقرارها روح الإسلام .. إن المعصر الحاضر ليس عصر الدولات النشوة ، إنه عصر التكتلات الكبيرة القادرة على الحياة القائمة للاتية !

إن العلم الإسلامى ضم أجاسا كثيرة ، من عرب وفرس وترك وهنود وفرنجة ... الخ ورضى أجناس سعت بهذا الدين ، وأرضت به رباها ، وعققت به وجودها ، ولكنها

يقول: أيها الناس! كنت أحترب ليعلى (أكسب قوتهم) فانا اليوم أحترب لكم، فالمرءى أنى من بيت مالكم!

ورجى: بعد أبى بكر عمر ليعلى الناس فى المسجد الجامع: إذا وجدتم فى أوجاجنا قلوباً، فسمع من بين الصفوف صوت يقول: لو وجدنا ذلك أوجاجنا لقربناه سيوفنا فكون جولي عور: الحمد لله الذى أوجد فى المسلمين من يقوم أوجاج عور سيوفه!

وفى رواية أن عمر خطب فقال: يا مشر المسلمين، ماأنا تقولون لو قلت بركسى إلى الدنيا مكنا؟ فشق الصغير رجل يقول وهو يلوح براحيه كأنهما حسام عثوق: إند يقول: لايف مكنا...

فسأله عمر: أباى تسمى فيجيب الرجل: نعم إياك ألقى يقول: فورد عمر: رحمتك الله الحمد لله الذى جعل نيككم من يوم موسى.

ورجى: دور عثمان، الخليفة لنبيل القلزم، الذى يقول الناس: إنا وجدتم فى كتاب الله أن نفعوا رجلى فى القيد ففهمناه...

وقد كان عثمان قديراً على استعراج خبره، وأعمال السيف فى محاصره لكن الرجل ألقى الرزق قبل أن يوت دون أن يستريح طرفة دم لسم!!

ويطوى على الخلافة يقول: إنا أنا رجل نتمكلى ماكم وعلى ما ملككم ويقول: ليس لى لى دوركم يقول لصاحبه: إياك والا يستل يا لى فى أسره... سواه..

وبالأت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز حيرنا من أجدانه بنى أسية كره الرجل الكثير هذا الوضع الذى يرفعهم الإسلام، وخرج لى السجدة الجامع يقول للناس: لقد ألبيت بهذا الأمر على خير رأى منى، وعلى خير صورة من المسلمين، فإنى أخلص بيعة من بائس، فاعترضوا لا تفكهم!

فردت أباهامير بعوت واحد: بلى إياك نختار يا أمير المؤمنين...

هذه هى الخلافة الرشيدة، لى أمرنا أن نستملك، بسبها، أرى واحدا من رجالها يعرف الحق الأسمى المداك أو يظن نفسه فوق الأية قيد أصبح؟ ويحسب الحكم بقره حلياً لى عليه وعلى أمره وأثابه؟

أرى واحدا منهم ككل يعارض أو يفتق عليه الخناق أو حومه عقاده؟...

٥٦. يبجل الناس من الحكم الدينى، وعودة الخلافة؟ فهل هناك ما يديف هذا الرجل؟

عندما يتخذ التعصب للدينى فاعناك من الحرية الفكرية فإن الأمر يستحق كل إزاءه ومن حق المسلمين أن يسلوا: لانا قلت هامس إيل، أرضا لقم بوجودا وهى تقوم على أسس يهودى صوفى؟ ورسوم حدودها وفق مصطلحات الفروا؟ إن الشرق والغرب كليهما اعترفا بحقها فى الحياة، بل لم يعترفا بحق العرب فى رفقاء جزوى، إلا بعد الاعتراف بهذه الدولة الدينية؟...

لانا قامت طلائى كنانة دولة توحه أغلب شعلى العالم وذلك القوة الاقتصادية طائفة - بعد أمريكا وروسيا - وضيع سياستها الرينة لتعصير الشعوب الأخرى وفى طليعتها المسلمون؟

إن الحرب العالمية لى شها فيها مرة لروسيا لم تدع الشيوعية ثمراتها، بل ضمت لى الأطفال الإسلامية للثورة أفغانستان، والحرب العالمية لى شها الدول الغربية تركت فى الكيان الإسلامى تزيما طائفاً وثنائياً، ويملك أن يقضى على.

فإذا تحرك المسلمون ليحموا كيانهم، ويحذروا دولتهم قبل لهم: يجب أن يستند الإسلام عن السياسة، فنحن نرجل من الحكم الدينى! ومن عودة الخلافة الإسلامية! الحق أن هذه صفاته مستبوية!...

إن الذى يوجل منه، ويوجل منه كل عاقل هو عودة الاستبداد السياسى أو لولى رجل الحكم وهو يؤزم أن ذو صلة خاصة بالله، أو أن الورع القس حلى فيه وتعاونه معه!!

والخلافة الرشيدة بريئة من هذا الخيول القس، وتصريحات رجالها واحدا واحدا يتبنى لو يقول لهم أعظم رجال الدينوراطية، والماسيين...

ألم يقل أبو بكر: أنا أحبنت فافخيزنى، وإنا زعت فقومونى؟ وعندما بللى الأمر

لَهُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ

اسقطوه في انتخاب صحيح ، وجاءوا بخير منه .

للكره ان اغلب المسلمين منافقون وجهال؟..

على الخروج عرضا عليه أن ينفذوا خطته ، فإني ١٠٠

الرسالة الحماسية والعقل ؟

الفرقة من الحكم!

السلافيين . والانتفاع بكل جهد إنساني للخلاص من الاستبداد والفساد .

والمولك الذين حكموا الإسلام ولم يحكمهم الإسلام...

بائع طويل في الارتفاق والأكل على موائد الحكيم !!...

و نقل ما يخالف المصاحح حديثه منكراً أو متروكاً أو فضيلاً ..

أو متروكة؟ وفي أي ميدان الحكم، أو الظاهرة فرد مستبعد؟.

أو ظلم كان عليه الوزير، وعلى الرعية الصبر.

بعضكم على بعض يا أيها الذين آمنوا -

ومنها : « أن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديهم

ومنها أحاديث تغيير المنكر بمراتبه الثلاث ..

او متروكاً ومع ذلك نقله وروج له بعض المرتزقة من المتحدين عن الإسلام.

٥٧. متى تقام الطرود؟ وهل هي صالحة لكل عصر؟

الإنسان ليس ملاكاً مسمىاً، ومن ثم لا يستغرب وقوع الخطأ فيه، وإذا انصتصنا
 قليلاً فلا ينبغي أن نبادر إلى فهمه يوحياً، وإلا فم حاضرة ومستقبله ..
 وإذ كان الأقدم علم هدف الطبيعة البشرية، ويحدد لها طرق التربة وتساوي
 في ذلك الله أيهد أن يترب عليكم، ويريد الذين يعرفون الشهوات أن يغيروا ميلا
 "يريد الله أن يغيث عليكم" وخلق الإنسان خفيلاً⁽¹⁾ عظيماً

هذه حقيقة لا ريب فيها ، وهناك حقيقة أخرى لا ننساها ... إن كل امرئ يجب أن يعيش أمنا في سره ، وألّا في دمه وساله وعرضه ، وإن انحرفاته ، الخلفيات

وغير أن تتحول إلى رداء يصف به من يرتاح المقيمين !
الإسلام عندما يضع عبوة خطية ينظر إلى مآثر المقيمين .
قد يذلل الناس وليس له الأرواء ولكنه لا يأخذ أيها الحرية لا تذكر الصبر ،
وغير الخوف .

عاصي... إن من طرق فيها نور على قلمه، ولم على سمعته، أو حورته، إجماع مستعجلة، وإن استقبله هو الإصلاح والاستقامة...

بالحرم فتركه النبي الكريم وما يبدا
على حين اذن ابن صلى معه ، أن يتصرف بما اقتضت ، فقد طهرت صلاته
أعتمدت بقوة له .

لكن إذا اضطرب حمل الأم، أو رأى الطبيب أن المنيب أن المنيب قاس بخلاف العذر، فإن الحفاظ على الجميع، وبخاصة الجرم الجور وحبان الصبر على بدء وحماية الناس من شره...

(١) قوله: ٣٧، ٣٨.

نعم إن الله يستر كثيرا حتى إذا توقع الزم وتجمع جرمه سبه أدى إلى مصيره .
وبع ذلك ، فإن الذي شرح الحلود طلب المؤمنين إلى السستر على الشحريين ،
ومنعهم فرصة متابيا لهم يرحلون فمن سعيد بن السيب أن رجلا من قبيلة
أسلم اسمه هزال ، شكا رجلا إلى رسول الله ﷺ ، منهايا إياه بالزنى ، فقال له
النبي ﷺ : « يا هزال ، لو سترته وبذلك لكان خير لك » .

وكانت هذه الشكوى قبل نزول آية الفذف ، ولا يلجأه النبي ثمانين جللة ..

والغريب أن الرجل للشكر الذي أمر الرسول بستره ، هو وصاعده الثمن الشاب
الذي أبى إلا أن يبرز مطهرا ، كان الرسول الكريم ألهم الدفاع عن رجل صلح بكمه
الأمم ، ويضيق بالترفه ، وإن وقع فيه !!

وفي إقامة الحلود جاء عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال
رسول الله ﷺ : « داروا الحلود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج
فخلوا عنه سبيلا ، فإن الإمام إن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة .

وقد كان حد السكر على عهد رسول الله ﷺ شريفا مهينا يوقع بالعزيب الذي
قبض عليه ، ثم رأى الصماعة بعد أن يجلد السكر أربعين أو ثمانين جللة .

أما حد السرقة فهو قطع اليد ، ولم يقل أحد ، إن الجائع تقطع يده إذا سرق ما
يقوته إنما تقطع يد الجائع المعتدي على كسب الآخرين وكدهم ، والذي ينسئ
سلوكه على الظلم والإفساد ، ولا أرى سببا لأحرام هذه اليد ، وتركها تزدي وتجمع
الناس في حقوقهم ..

أما السالمون المظاهر على النهب والسلب ، المتعاورون على الإثم والعدوان
وقطع الطريق واساعة الفوضى ، فإن قطعهم حق ..

يقى أن تقول : إن عقوبة الزنى صعبة التنبيه ، فإن الجنى بأربعة شهداء يرون
وتوقعها يكاد يستحيل . إلا إذا كان الجرمان في طريق علم ، عايرين مقصوحين لا
يأبىان بأحد !

وعندما يتحول امرؤ إلى حيوان مشجور على هذا النحو الخسيس ، فلا مكان
للدفاع عنه أو احترام إنسانيته ..

ومعجب لعلى القارئ عندما قرأت أن لصا أطلق النار على جندي كان يطارده ،
ثم قبض بعد لأي على اللص وأودع السجن ، ونفى المرأة
ماذا حدث ؟ إن عقوبة الإعدام ملأه ؛ لأن القصاص وحية !!

إنه لا يقر الأسان ، ويخج الأجرام في هذه البلاد إلا إقامة الحلود ، الحلود وحدها هي
الدواء قد تكون نعمة والحجاز أهل حصانة من الولايات للتحلة ، بيد أن ظلم الإرماب
والأجرام والتوجس والخوف من هذه الأربعة قبيحة ، ما نسبها إقامة الحلود
لو أن عربة محملة بالذهب مشيت من شمال البحر إلى أول الشام ما فكر أحد
في اعتراضها ، إذ الناس رجلا إن خالف من الله فهو ينافي أكمل الصحت ، وما
خالف من شريعتهم فهو واقف عند حله ، لا يتصور لقطع اليد ، ولا لقطع الفمنا
أرى أنه لا يخطر على الخيول ولا يعطل القصاص إلا خالف منه على نفسه .

لقد قلت في مكان آخر : إن رب الحياة الخبير بدروبها وسناتها وضع رسما لهم
الطريق إذا التزم الأحياء لم يضلوا ، وما معنى الإعراض عنه ؟ إن الصنيع الذي أخرج
الآلة وضع تعليمات بطريقة استخدامها ، فلفظا نقض هذه التعليمات ؟

إن خالق البشر أنزل أحكاما محددة ، وقال لنا ونحن نسميها : « بين الله لكم
أن تعملوا والله بكل شيء عليم » (١٧٧) . فمذا ينبغي ؟

﴿ أفعمكم الجاهلية يفتنون ومن أحسن من الله حكما فلنم يؤفرون ﴾ (١٧٨)
يعانون افتان والفرع ناديا يأتون إقامتها ، ولن يستخرجوا بعد إعلان السمع والطاعة .

إن الحلود للضرورة تعدد على الأصابع ، ويخجل إلى أن تطبق حد ما على أي
إنسان يرتبط بحد غلب ، ولا شرح لأهني ، إن الله يعلم ضعفنا ، ويتجاوز كثيرا
عن هدواتنا ، ولو أخذ المرء بأول عثراته ما نجا أحد من عقابه ﴿ ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم ما ترك عليها من فاهية ﴾ (١٧٩) .

إنه يعمل ويعمل ، حتى إذا فاض الإثم فضع وأكس . وذلك ما أشار إليه «صمر»
عندما استغاثته امرأة بالمير المؤمنين « أبني سرق وهذه أول مرة ، فقال لها : كذبت
إن الله لا ينفض عنه لأز مرة !!

ومن هنا كان أداء الضريبة لا بد منه وكان التعزيب منه ، أشبه بالغيابة الوطنية .. وفي البلاد الوليدة يظهر كل الشر في حصة الضرائب في إجابة شهوة عامة ، من أجل تلك يقدرون إلى التعزيب من الضرائب على أنه ارتكب ما يحرمه من المأسب الكبرى وما يمسهم بأرواحهم ..

وقد قرنا في كتاب آخر بين الضريبة والركاة ، فإن الله فرض الصدقة تطهيراً للناس من ذنوب الشح ومساعدة للفقراء على رد الفسوق والأزمات ، ولهما في الدخاخ من العفنة ... إلخ .

ورصد القرآن الكريم مصارف الركاة في نهاية أصفك لا يبرز أن تعديها إلى غيرها .. أما دولة الضريبة ، فهي أوسع مصادر ومعارف ، ومن حصة الضرائب يتغنى الكيان السياسي والعسكري والخصاري للأمة ، ومنها يتقن الجهاز الإداري .

وقد تذكر الضرائب وتزجج سبها خصوصاً أيام الحروب حتى تصل إلى ٩٠٪ من الدخال العام ..

أما الركاة فمذكور فيها ابتداء القضاء على الجساء والقراء ، ومن مصارفها الشانية منهم قد يوجه للجهاد العسكري لكن مقام الجهاد قد تعد لتشمل المال كله ، والنفى منه ..

وبذلك ترى من هنا أن فنة تشابكاً بين دائرتي الضريبة والركاة مع الأفراد كل منهما يجهل تنحى به !

والأم الكبرى - خصوصاً من لها نشاط عالي - تفتن في وضع الضرائب وتعيدد أوعيتها وتبين تلك بأهداف قومية بأسرة وغير مباشرة .

والإسلام حدد سبب الركاة ، ومستحقها ، لكن لنشاط الإسلامي الملى الشد يفرض على المسلمين بدلاً لا يبق عدد حد كى يتلو رسائل الله ، ويصرفوا الدخاخ عنها ..

وقد تأملت في مطالب الشريعة والتعليم ، ومطالب الدعوة والشفاعة ، ومطالب الأسطول البحري والجوى ، ومطالب الجيش وأصلحته الكبيرة ومطالب الصناعات المدنية والمعمارية ... إلخ فوجدت أن ذلك يتطلب أموالاً لا يقدض مناهجها - فارتكت بمنى فرك تعالى : لو أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم (١) .

(١) آية: ١١١ .

٥٨. ما الضرائب في الإسلام، وما نظامها ؟

سمعت كلمة من صديق عايش في ليبيا رجحاً من الورن صحت لها لم أنسها ، قال : إن يوم أقرر الميزنة العامة للدولة يكاد يكون يوم عيداً الفرحه عامة ، واليشير باد على البروجه !

قال : وفي بعض البلاد يقال للدافعي الضرائب : ادبروا تفاصيل الإنفاق . انظروا أين وضعتم ما أعتدنا بمتكم من مال !!

لقد رويت المصلحة العامة بآداة وصلت للثغرات ، وعلقت مدرس ومستفيدين ، وفرت طوائف ، وثقت أمان .. إلخ ، ثم أخذت يدي وأضحي بنعم ، ولزجج بصل ، فهناك لا تقضى ضريبة إلا بوثيقة بولي الأمة ، ولا تصرف إلا بهذه الوثيقة ..

تذكرت أنين وسديده الشاعر الذي انضم إلى ثورة النفس فركية وهو يقول : اللهم قد صار قوتنا دولة بعد القسمة - ألى استأثر الأخصياء به فهو دولة بينهم -

وأما رتا عليه بعد الثورة - يشكو الاستبداد السياسي -

واشترت الملاهي وللأولاد بسهم القيتم والأرملة - سوء التصرف في المال العام - وحكم في أبنائ المسلمين أهل للمة ! - فهم نعم المون للأمر الجائر -

وولّى القيام بأمرهم فاسق كل محلة - هكذا تقع الظلم على أنسكاتها .

الهم قد استعصم زرع الخياطل ، وبلغ نهيته ، واستججع طريده .

الهم فانفتح له من الحق ردا حاصدة تبده شمله وتفرق أموره ، يظهر الحق في أحسن صور ، ولهم دور ..

مالي وفقاً لأئين العديم ؟ إن الشجاعة يمت الشجاء .. كان الزمان لو كان الخافتر صورة الماضي ، في عاتقنا الإسلامي العفنى !!

يقصد بالضرائب المال الذي تافقه الدولة من الجمهور في صور شتى ليعود تلك المال مرة أخرى إلى الناس في صورة خدمات عامة وضمانات لوجود الأمة وراتها ، ومن مصارفها ودم القاتلين عليها .

المسلمين فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أسراهم، ذلك، لأن كرامة هؤلاء الأسرى من كرامة الأمة الإسلامية، وكرامة الأمة فوق المصلحة الخاصة لأموال الأفراد.

وهنا منطق شديد هدى إليه المنهج، والمعاداة والمجهورون في تاريخنا العلمي، وسارت عليه الأمم الآن شرقاً وغرباً، فالحكومات الرأعية قد تجعل من التبرائين شريان حياة كما تجعل منها أحياناً جراحة شفاء وتجميل ..

رأيتا القسرات يتوارى على أسطح الشرف وأدوات لثينة ولا يلبس في ذلك تافهية مسكونة سنان الفم، والموزين ..

ولأيتا القسراتي تفرس على المصروفات الأجنبية حماية المصناعة الوطنية، وهما حين، وقد نهضت في الهند صناعات توشك أن تحقق الاكتفاء الذاتي اليهود، بسبب القسرات الصارمة التي أوجبتها الدولة.

ولذا أكره المجهور على استخدام أدوات أو سلع غير جيدة، فذلك سنة الارتقاء مستعمل بها إلى السوى للتبذير يوماً ما ..

على أية حال لابد أن تذكر أن الدعوة الإسلامية مبرومة يعلني وأهل وأهلها لا يمكن تجاهلها، في الداخل والخارج على سوازيها بلغت الدولة بعض غاياتها بوسائل قديمة، كما حدثت من فتح بين المهاجرين والأهل على عهد رسول الله ﷺ، أو على نحو ما فكر عصر بن الخطاب عندما قال: لو لم أجد للناس ما يسعهم إلا أن أدخل على أهل كل بيت عندهم فيعاسيهم أنصاف بطونهم، حتى يأتي الله بالحق القضاة فأعلم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم ..

لكن هذه الأسرار قد تفسد الآن، ولعلنا المختوم فيها في القسرية التي تكون الخكومة من مباشرة الإطعام والإيواء، وإمداد المحتاجين باستعهم وصبرهم مادياً وأدبياً.

وما يقال في مطالب السلام يقال منك في مطالب الحرب، لا سيما وقد أحاطت بالثلاث من كل فرع ووسع لمراتها طين رخيصاً ..
ولن بأسى مؤمن على مال يغيب في هدف شريف ..

وتدبر: ﴿والتروا غنياً وتعالوا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ (١) ..
وتظهر أن كلمة طائفة، تشمل المصنفات المروضة والمثالة، وتشمل أنواع الجلب التي يفرضها العمل لك في شتى الميادين.

ولما تم بالسلمين أليم يكفلون فيها بإطلاق ما يزيد على حاجاتهم الخاصة، لا يستعزبون شيئاً استجابة للآية الكريمة: ﴿وإذا تراءى ثلثاً فليقرن فليقرن﴾ (٢) ..

وهذا ما يقيم به الجهاد القسرياً وقد تكون كلمة ضمنية بغيضة إلى الناس، ومنه ذلك فيما يورث فساد الحكم في أغلب الأقطار الإسلامية، والخذلير الشيطاني في المال العام، وقدوة المظالمين على الغلبة منه دون حساب ..

وقد رأيتا أن الدول الأخرى مسافحة من هذا البلاء، وأن سائر فخذ من دافعي القسرات يبق في أرضه مراضه، ويراقب بعين نافذة حادة ..

ومكلمنا نرى المكثرين والتجنين يرحلون مصالحهم، ويحطون دون من دوراً يتبعها من خسران يكفروه والله أعلم بالمتبعين (٣) ..

وقد كتبت فيما كتبت حصر جزائي أرى ذلك من مقتضيات القعود، وأفهمه من ظواهر الرأي، ثم وجدت أن فهمنا استنبطه من القواعد المقررة في الشريعة قال الأستاذ الشيخ يوسف القرضاوي إنه يمكن دواً فقط ظروفا الحرب فرض ضرائب على القاديين وأهل اليسار لتحويل الجهد، وإمداد الجيش وإمداد المصنع، وما إلى ذلك من أحياديحات المروية إن أفسح بؤبؤك ذلك وتوجه كما نص على ذلك الفقهاء، وإن كان كثير منهم في الأحوال المنداة لا يطلب الناس بحق في المال غير الزكاة واستدل القرضاوي على ذلك بقوله: «لأننا نعلم أنه إذا عارض شريان أو ضرورات، فقد الشرح إلى دفع أئمة الصوريين وأصلهم الشريان»

وما يؤيده كل واحد منهم - يعني المكثين جهده قسرات - قليل بالإضافة إلى ما يعطيه به من نفسه وماله لوحت بلاد الإسلام عن ذي شوكه يحفظ نظام الأمور ويتطلع مائة الشروع ..

قال الدكتور القرضاوي: «هل ظالم فك أسرى المسلمين، ويخلصهم من قيود الكافرين وألأهم، مهما كلف ذلك من أموالنا قال الإمام مالك: يجب على كافة

(١) آل عمران: ١١٥.

(٢) لقوة: ٢١٤.

(٣) لقوة: ٤١.

وقد تكونت للشريعة بثقتها الاقتصادية والفلسفي الإلهادي دوك كبيرة ، والتي يعينني أنا المسلم المؤمن بالله وكتبه ورسله - أمراء : اجتماعهم وأخلاقهم من الآخر .
الأول :
إثبات معالم الإيمان جملة وتفصيلا فلا مودة في جسد الأرومية ، وانكار
الروح الأعلى ..

الثاني :
احترام الملكية المسيحية ، ورفض ما عددها من تلك أسلسته السمحت
والانفصال وتزوير الاستقلال للدين .
ثالثا : أقر ذلك ؛ لأن هناك أناسا يعززون الإسلام - ويطلب الله ما في قلوبهم - ثم

يتخبرون في حال الله تعوضا ريثما فلا يتحركون منه إلا ماضيا من حمله
ولا يبالون من أين اكتسبوا ولا يقرن لصيف دسوه وهم يحسون ولا يكتيزون
لحاج يرون أنهم أبقاه موروثة !!

يقول أرباك : أنهم يحاربون الشيوعية ؛ لأنها ضد الدين !! وهم الطريق الموصل
إليها والغري بها !! ولكن لماذا يذكره بعيد عن أخلاقهم وأصلهم ؟

على أية حال نحن نحامي عن الإسلام الذي يخرج الناس من الظلمات إلى
النور ، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد ، وثاني أن تبقى رسالة النبي في
وصاية نقر من الترفن والتخوين لم توجد أن تمن على أمين استعقبوا أي الأرض
وتعطيهم أيتها وجهتهم الأوابين (1) وتبكي لهم في الأرض (2) .

ومن الصعب فصل الاقتصاد عن السياسة ، ومن هنا فإنك حيث تجد الظلم
السياسي تجد الإجراء الجرام ، واستغلال السلطة إلى أبعد الامد ، وسوق القمام إلى
الأرباح والأرباح والجوانسي ..

وأرى أن طهارة الربح أصل عظيم لصالح المجتمع ، وأن مصداقه الاملاك التي
سخرت من حقوق الآخرين تعيد إلى النفوس والأرواح قدرا كبيرا من الاستقرار
والثبات إذ إن رأى الأجانب في أسلوب الربح والخسارة ، والنفس واليقين بلا دنا
يتكسر ، وتوس للمدعة ، ويهتف بالإسلام عيها هو منها براء .

(1) الفصحى : ١٠ ، ١١ .

٥٩. كيف يحقق الإسلام التوازن الاقتصادي في المجتمع ؟

لا يتوالت على أن الإسلام منح الفرد حق التملك مادام السبب مشروعاً ،
قال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مَا مَتَّعْتُم بِهِ بَشَرًا وَأُنثًى أَنْتُمْ تُكْفِرُوا بِهَا
مُتَكِبِينَ ﴾ (١) ولقد جاء لهم فيها ذكرهم وبشرها بأنهم لا يكون (٢) ولهم فيها متاع
وتغارب ألا يتكفرون (٣) .

وقد رغب المرحومين الأولى السعة أن يؤثروا غيرهم وبشركهم في نعمة الله لديهم
﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي مَعَالِيَ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ مِنْهُ ﴾ (٤) .

لرغب - سبحانه - من تسليط ليد للشيعة على الكاف تربية في الحب ، وتعدد الصالح
الريفة به لقلته على ﴿ وَلَا تَوَرَّكُمُ الْمَسْكِينُ فَرَأَيْكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ كُنَّا ﴾ (٥) .

وثاني تبارك اسمه جملة المؤمنين أن يستعفوا عن الجرام ، ولا تكون مملكتهم
انتهائا وشروا ، بل يجب أن تكون من طيب نفس ، ومن رضا قلبي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَغْيًا يُبْطِلُ . أَلَمْ تَكُونُوا عَادَةً عَنْ أَمْرِ رَبِّكُمْ ﴾ (٦) ولما راع
أن الزحام المبرور توقف للثلاث ، ونصاعف الإحتياج بما يحيى مع سباق الحوافز
الخاصة ، ورغبة البشر في الكسب ، ولزهد من الكسب لا يفسد وأولاهم ..

وقد أقر الإسلام حرية التملك ، وإن كان قد أقرها بالقيود التي تمنع سطوة
الأنانية ، وطغيان الاستغناء ..

والمشروعية لملك الملكية الخاصة ، ويجعلها مشروكة عن التملك الاجتماعية قديها
وعديها .

(١) البقرة : ٢٨٢ .

(٢) النساء : ٢٩ .

(٣) البقرة : ٢٨٣ .

(٤) النساء : ٢٩ .

إن الإسلام دين طبيعي يعطى للبرقة يشتمل الناس بحارب الرضى بتزويج
الراغبين في السكينة ويسخر تعالىهم للولاية لتحقيق أهدافه الخلقية ، وبوسطه المسار
الاجتماعي حتى لا يوجع أو يفرح ..

على أن دائرة الزكاة مهما اتسعت فيبقى ألا تعدوا بها حدودها ، قد تكون الزكاة
عونا للجنين ، ولكنها مساعدة مؤقتة الدائرين إلى أن يجدوا لعمل !

وقد جاء في الحديث : « لا تعوز الزكاة على ذي مروة سوى » أي أن الرجل المسلم
الخالق ، السوي الخوارج والأعضاء يتجه إلى العمل ليكتسب منه ويؤتي أهلها
ولا تنسى أن الزكاة نفسها هي فنون من عملها وكسرها وانحسارها ، فالعمل هو
المصدر الأساسي للثروة ، وعلى الدولة أن تعيد بنيانها لكل قاطن ، وأن تحارب البطالة
بكل ما لديها من قوة ..

وأخيراً مكانها بمسارحة قومي ، وإن سادتهم هذه المسارحة ، إن غيرهم من
الناس كان أجند منهم على العمل ، وأضرر بأسيابها ، وأجمل على مصالحه والتمسح
فيه وزيل الفنى البائخ منه ..

وقد تسامت من سر ظلمنا؟ فوجدت أن تقليد البدو تسالت إلى تعليم الإسلام
وتقليد المسلمين فوجدت بائساً على حين تحرك غيرها ورسق سبقاً بعيداً .

وليدو يحتضرون الفلاح ، ويخزون الحرف ويحالف الأعراب ملاكي بالمناخرات
والمناورات والظواهر بالرياسة ، والذين عن عدد من المصاعبات !

فالفرق يهوج جزيراً لأبلة حديد أما مجالس جد الفرزدق فلا تدري يا ياكور ؟ ..

فأى أمي قريب كان ابن عمدة القرية أصل من ابن طبيب القرية أو ابن شريطها ؟
وليدو بالبنط والشار ومؤخرة في اليد لقي تقضى القنود حصيلة كبح هذا وذلك !!
ودوما وصل هذا الشعار إلى عقود الزواجر فعد ابن هذا ليس حكماً لبنت كاك ،
ونسب ذلك كله إلى الإسلام ..

إن المجتمع الإسلامي يجب أن يعاد تشكيله وفق القانون الإلهي العذو هو وقلبي
اعملوا قسوتي الله عظيمكم ... هـ (١)

أما عوائد الترفين والقاعدين فاطلع معهم إلى الجحيم .

وقد وردنا الموصوف في تحريم التهب والغش والاحتيال والاستغلال في أماكن
من كتبنا ..

والحال المكسوت من حلالا يجب فيه حقوق شتى ، أولها الزكاة ، ومكانتها في
الإسلام كبيرة ، وأغلبها منها قطع دائر الجساءة والفساد ، ولابد لمن لا يحق
للغفراء الإكتفاء بالمال ..

وتنبر فرك الرسول الكريم : « لا رجل يبيع أهله بيت نافقة فتدور بهن ، قد كسبه »
وشرح بعضنا : « أنا أجدها المعظم » .

أي ثوب لأول البيت مقدار مسجدا من اللين في الصباح المساء ، وبذلك تم تغذيتهم
إن الصورة المروعة للزكاة يد تعد ظلمة سائلة لتتألق فضاء بيد حاجية اليوم ، ثم
تكرر الصغرة وظلمة لشدة حاجية العذ ، وهكذا يوليك !!

وبذلك لمع الله مستكورة ، إن الإسلام أول قائل بسخن الخراج حق الله في المال ،
ثم تولت الدولة إعطاءه من ترى بهم حاجية ، لكن كيف تعطي وكرم ؟ يجيب
الدكتور يوسف القرضاوي على ذلك في تفصيل يقتضى منه هذه المسطور (١) :

« فهناك الماعب الذي رجحه الغزالي وهو منع المالكية وجمهور الخباياة ونقض
الشراعية وهو أن يأخذ الفقهاء ما يتم كراته من وقت الأخذ إلى سنة مستقبله -
أي تتفق عام كامل - قال الغزالي فهذا الصي ما يخص فيه من حيث إن السنة أيا
تكررت تكررت أسباب الدخل ، ومن حيث إن الرسول الكريم اخرج لحياله قوت
سنة ، والقاتلون بهذا الرأي يدكرون أن كفاية السنة ليس لها حد معين تقف عنده
حين تكتم السنة وبطاعة الظفر الواحد أكثر من صاحب من، وقد أوجرت أو ما حية
أخذ من زكاة ذلك العذ ، وإن صر غنيته لأنه حين الدخيل كان غير مستعفاً !! »

ومن الطرائف التي ذكرها صاحب الكتاب الجليل دفعه الزكاة ، أن الخليفة
الراشد عمرو بن عبد العزيز أمر من يتأذى من الناس كل يوم « أين المساكين ؟ أين
الغاريبون ؟ أين الناكهون ؟ يعني طالي الزواج الذين لا مهر معهم !! » فوأن بيت مال
المسلمين يساعد على الزواج وياخذ المهر !!

ثم ذكر الأستاذ رأيا آخر للفقهاء في العذر الذي يتخ من الزكاة ، هذا العذر ليس
كفاية علم كما ذكرنا ، إنه كفاية العسر ، كان : « وهذا الرأي هو الذي نصي عليه
الشافعي في الألام ، وأجازوه جم فقير من أصحابه » .

(١) عند كل هذه فركاة : اعلم ما لك من بوجوبه في شريعة الله .

٦٠. ما موقف الإسلام من نظام المصارف المعاصرة؟ وما البديل الذي يقمعه؟

ويقول الأستاذ أحمد أمين فؤاد رئيس المصرف الإسلامي الدولي للتنمية والاستثمار - السابق -: إن المال لا يكون كله ، ملك لله سبحانه ، وقد استخلفنا الله في هذا المال لنرى كيف نكتسبه وكيف ننفقه ، فما يجوز أن تمتلكه من وجهه محرم ولا أن تنفقه على نحو محرم ، كما لا يجوز أن يكون تداول المال في المجتمع على نحو يزيل قواعد الأخلاق ويهدد كرامة البشر ، فإلّا لآلة غلبة الإنسان وليس الإنسان عبد لآله ..

والفروض أن يكبح الله ويحاطر ! لنسبح ! أن يحاول الربح دون جهد يذكر .. والمصارف الإسلامية وهي تعطي المال لطالبي تشارك في رسم الخطة وتقدير الظروف وتعمل السلبية ، أما البنوك الربوية فهي تتصل من هذا كله ، وتضمن وراء ضمان القابلة وحسب !

وقد كان نتائج الأسلوب الربوي مبركاً ، وانطبق عليه قول تعالى :
﴿ وَيَجْعَلِ اللَّهُ لِلرِّبَا كَيْفًا ۝ ١ ۝ ﴾

كيف كان هذا المعنى؟ تنظر إلى الدول للبنية والدول للدائنة على مدى أربعة أجيال من القروض الدولية ! ..

إن الدول النامية - القسرية - تتدحرج من سبي إلى أسوأ ، وما هي في قد أوقفت برامج التنمية وبجرت عن سداد الأقساط ، وفراغ القرض ، ويوشك أغلبها أن يعلن إفلاسها .

أما الدول الدائنة فقد كانت فرحة بقدرها على الإقراض وفرضتها في كل ليرة .. ثم زادت وبك أمور بعد تدوير أحوال الدين ، وتظهر مجرّد .

حتى إعادة جدولة الدين لا تحقق جيّراً ، فإن هذه إعادة تدوير إلى خسائر 70% من القيمة الأصلية للدين .

ولو طبقت الأنظمة الخاسية على هذه المؤسسات لأعلنت إفلاسها .. ليس هذا هو الحق الذي توجد القرض به الربوية؟ ..

(١) ملحق: ٣٣١ .

التأمل في أعمال هذه البنوك يجد بعضها حلالاً محضاً ، والآخر حراماً لا ريب فيه ، وهناك أعمال يمكن تعدلات يسيّر أن تاشد الصورة للشريعة . ومن هنا شرع الاقتصاديون المسلمون بوضع قواعد المصارف على أسس من الفقه الإسلامي ، فهي طائفة عقد الشفاعة الذي يتم بين اثنين من ناحية ورأس المال من ناحية أخرى ، كما أن في هذا الفقه قواعد هيئة المصرف والحوالات والقسمان والوكالة وغير ذلك .

ثم إن جمهور المسلمين رافعة كل رافعة في أن يبعد فهمها عن الشبهة ففعلنا عن الحرم ، المالك ما كانوا يسمون من مصرف إسلامي حتى ساروا إلى الإهمال فيه ! وقد بقيت الآن عدة مصارف في وجه مقاومة منظمة من البنوك العالمية التي لا يبرها محدثاً ..

وقد قرئت كلمات رؤساء المصارف الإسلامية تشجع وثائقها ، وعلاقتها بالمؤسسات الاقتصادية الأخرى لرى أنها تلقى التأييد على الوضوح كله ، فلا يستند بمسند لواءه رئيس المصرف الإسلامي بدوي ، يقول (١) : إن أنشطة هذه المصارف هي الترجمة العملية للنظام الاقتصادي الإسلامي في أسس صوره ، نحن نقدم نموذجاً للربحية بين المال وربح الأعمال في كل المجالات ، وذلك في نطاق محكم من تعاليم الشريعة ، وتقدير عملي حاجات الأفراد ، أي إننا ربط الفكر النظري بالواقع .

وفي العلاقات مع البنوك الربوية يقول : هناك فاصل لا يمكن تجديده فنعني لا تأخر قائمة ، ولربما عندما نمرح من كل فرض سواء للاستهلاك أو الإنتاج .

ويكن أن تتعامل مع البنوك الأخرى في الحسابات المالية ، وبموجب العمليات ، ومصرف العكوك (الشيكات) وخدمات القسائم ، وأنواع الكفالات ، فهذه كلها أعمال مصرفية جائرة شرعاً .

(١) ينشخص قريش من الأصل .

وفي وصف المنافقين ، وعبيد الدنيا ، وللاب الرب الخامسة يقول سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا أَسْتِزَارًا الصَّلَاةَ بِالْأَيْمَانِ فَهُمْ لَا يُهَمُّونَ﴾^(١) .

وتجارة على كل حال ينبغي أن تكون شريفة لرسائل ، نبيلة للمالك ، وفي صيحة كثيرة من الغش والخداع والبيع يقول لرسول ﷺ :

(إن التجارة يصفون تجار يوم القيمة إلا من اتقى الله وعبه وصداق) ..

ومعروف أن التاجر يشتري السلعة بشئ ما ولكنه عندما يبيع لها سعر البيع ، يضيف إلى ثمنها الأصلي نفقات النقل والتخزين ، ثم الربح الذي يقيم عليه حياته . وقد يضيف إلى ذلك زيادة ، لضمان عدم ..

إن التاجر ليس موظفاً حكومياً له أجره والترتيب ، وله مدخولات تكفل معاشه بعد ترك الوظيفة ، كلا إن البدان الذي يعمل فيه يقوم على الخطورة ، وبديهي أن يحتاج التاجر ليحفظ حافزه ومستقبله جميعاً ..

والله تعلم ذلك ، وترضى به في عتاق الاعتدال ، وإن كان هناك من يعالني في تقدير أجره على تعب أو يعلني في مستوى العيش الذي يشهد ..

وفي ربح التجارة يقول الله تعالى : ﴿وَأَن تَبْتَاعُوا بِأَمْوَالِكُمْ أَنفُسَكُمْ بَأَلَاءَ مَا لَكُمْ لَئِن كُنْتُمْ تَاجِرِينَ﴾^(٢) .

والشيخ محمد عبيد تفسير غريب لهذه الآية ، فهو يقول : إما استثنى الله للتجارة من عموم الأموال التي يجري فيها الأكل بالبايل - أي بدون مقابل - لأن معظم أنواعها يدخل فيه الأكل بالبايل ، فإن عتبه قيمة الشيء وجعل ثمنه على قدر عبقاس مستقيم عزيز صبور ، وإن لم يكن مصالاً فلا راد من الاستثناء السامع بما يكون فيه أحد العوضين أكبر من الآخر وما يكون سبب التعارض فيه براعة التاجر في تزيين سلعته ، وتزيينها بحرف القول - من غير غش ولا خداع

(١) سورة النساء : ٢٤ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٦ .

٦١ ما هي حدود الكسب الحلال في التجارة؟ وكيف يصف الشارع حداً لأرباح التجارة؟

التجارة باب عظيم من أبواب الرزق في الدنيا كما هي ميدان فسح للشعائر العمرائي ، وتقبل الخيرات بين أرجاء الأرض . والمعجب أنها كذلك ، باب عظيم إلى الرزق في الآخرة ونبذة المكاة عند الله ، وحسناً في ذلك قول لرسول الكريم :

«التاجر الأمين المصدق مع الدين والأمين والجهاد والصلح» ..

وقد وقعت ملياً أمام حديث آخر ويشد بقلق السماحة والرحمة في معاملة التاجر لغيره ، ويهزني ما ذكر من مشورة لهذه الحلال ، فمن حليفه وأبي سمعد الذي أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول : «إن رجلاً عن كان قدامكم آتاه تلك لتقبض ربحه فقال له : هل فعلت من خير؟ قال : ما أعلم ..»^(١) . انظر : ١٠٠ . قال : ما أعلم شيئاً غير أبي كنت أبيع الناس في الدنيا فأقبل الميسر وأجاز عن العمير .. فأخذه الله الخبة ..

والمعروف أن قوم الذي عليه الصلاة والسلام كانوا يشتغلون بالتجارة ، بل ألبها كانت مصدر رزقهم ومصدر معاشهم ، وكانت حركتهم تنشط بين اليمن والشام ، وبين فارس واليمن .

وقد شارك النبي نفسه في بعض لرحلات التجارية ، وعاش ﷺ من العمل في هذا المجال صمو الأول ، وكذلك كان صحبته .

ولا كان العرب عرباً وهمسجون في هذا الجرح التجاري المشغول بالرباح والمشاركت فإن ردة الروح لتحيتهم منهم من هذه الروية :

﴿هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُحِبُّونَ﴾^(٢) . تعذبهم من عذابهم .

(١) رواه البخاري في صحيحه .

(٢) سورة البقرة : ١٦٠ .

والاحتكار جريمة خلقية واجتماعية، وهو أقصر طريق لكل لمراسل الناس بالباطل، وإشباع النهم الفردي من حاجة ذوي الحاجات...

ولعل من أخص الملل التي وفدت بها الحضارة الحديثة حرق بعض المحاصيل الزراعية حتى لا يفيض السعر الذي حمله الباعة... والكثير، كالجنون، فنونا...

بعد ما تبينت ضخامة الأرباح التي تحميها الشركات المحكرة فهمت قول رسول الله ﷺ: «لا يصتكر إلا خاطئ»، وما روى عنه «بعض المحاكرون وقلة الأنفس في

دورنا، ومن دخل في شيء من سعر المسلمين يغلب عليهم كان حشاش الله تعالى أن

يعذبه في معظم الترميم والقيمة، وكذلك جاء عنه عليه الصلاة والسلام من

رواية معاذ بن جبل: «وبس العبد المحكر إن أخص الله تعالى الأسماء حزن، وإن

أغلاها فرح»...

وقد رأى الشيوعيون إلغاء التجارة لما رأوه من جشع التجار وعيونا من نزاع

السلع بعد تفلها من مواطن إنتاجها إلى مواطن استهلاكها...

وهذا الحل لا يحد في تلبية الرغبات العامة، ولا يتجاوب مع الحريات الطبيعية،

وهو جزء من خطة في العيش لم تحظ برضا الجمهور، فبقيت في حراسة السلاح...

والذي نراه إبقاء سوق العرض والطلب، وإطلاق المنافسة الحرة بين الأفراد

والشركات، وتدخل الدولة بالتسيير الجبري إذا أحست سوء الاستغلال.

ويبقى أمر له وزنه الكبير وإن سار في فيه البعض أعمى رافع الدين وقانون

الأخلاق. فإن زكاة النفوس في جو الحرية السليمة والحريات المكفولة يمنع أنواعا

من البلاء، ويجعل التجارة في إطار الحديث الشريف:

«رحم الله رجلاً سمعاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»...

ومن لطائف عصر من الخطاب أنه قال:

«لا يبيع في سوقنا إلا من قد تفقه في الدين»!!

ولا تغريب... فإن المرء قد يشتري الشيء من غير حاجة ملحة إليه، وقد يشتريه بشيء يعلم أنه أكبر ما يباع به في مكان آخر، ولا يكون لذلك سبب إلا أن البائع أحمق وأقلر، مع بعد عن الفتن، وسفاهته على الصداق!...

قال الشيخ: فيكون هذا الكسب من باطل التجارة التي تحت بالتراضي، وهو ما

استنته الأية الكريمة، والمحكمة في إباحة الترفيف في التجارة لمدة الحاجة

إليها، وتبنيه الناس إلى استعمال ما أنزوا من ذكاه في اختيار الأشياء، وضبط

العامات وحفظ أموالهم التي جعلها الله قواماً أن يلبس شيء منها بالباطل...

ثم قال: لعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً خرج به الربح الكبير الذي يحصل

عليه الساجر من غير غش ولا تغريب، بل ثم يتراض لم تشفع فيه إرادة

الذبيون، ولولا بيع الشارع مثل هذا لما رغب في التجارة ولا اشتغل بها أحد من

أهل الدين... إلخ...

وقد ناقش الدكتور محمد زكي عبد البر هذا الكلام ونقده، وشر التراض بأنه

ركن التجارة الباحة، ويعنى طلب النفس بالأخذ والإعطاء. فلا يحل مال امرئ

مسلم إلا بطيب نفس منه. قال ﷺ:

«لا يحل لأمرئ مسلم أن يأخذ عداً عليه بطيب نفس منه»...

قال الدكتور: لا تنذهب إلى مذهب إليه الأستاذ الإمام من مشروعية التجارة

عن تراض ولو كان بها شيء من الباطل، ترغيباً في التجارة لمدة الحاجة إليها،

لأن القول بالمشروعية يتناقض مع الباطل لأن الأمر إذا شيع لا يجد باطلاً، وإذا كان

باطلاً يكون مشروطاً... إلخ...

ويبقى بعد ذلك كله السؤال الوارد: كيف لأرباح التجار حد تقف عنده، وتحرم

بعده؟ ربما لا نجد نصاً صريحاً في تحديد الربح، والذي نراه أن الظروف الطبيعية تقف

بالكاسب عادة عند حدود الاعتدال.

لكن نقرا من التجار يحاول السيطرة على هذه الظروف والتلاعب بقانون العرض

والطلب، ويصل إلى غايته بالاحتكار المتعمد للسلع، حتى يبيعها بأثمان

سعرها...